

سلسلة العقائد السلفية

٢

عَقِيدَةُ الْإِمَامِ مَا لِكُ

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية - عابدين القاهرة

ت : ٣٩١١٣٩٧ - فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

سلسلة العقائد السلفية

٢

عَقِيدَةُ الْإِمَامِ مَا لِكُ

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الرحمن المقراني

مكتبة التراث الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة للناسر



مَكْتَبَةُ الْإِثْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

ت : ٣٩١١٣٩٧

٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .
 ﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .
 ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ ﴾ .

وبعد فنحمد الله إذ وفقنا لإخراج سلسلة « العقيدة السلفية » مبتدئين هذه السلسلة بكتاب : عقيدة الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه ، مأخوذة من موطئه ومن المدونة ، ومن غيرهما مما يذكر فى قائمة المراجع ، فيلاحظ القارئ أننا استعملنا كل موقف على حدة حتى يُعْلَم أن أئمة السلف رضى الله تعالى عنهم ما تركوا ضللاً لا يدخل على الأمة إلا وجاهدوه بأقلامهم ، وألستهم ، وأموالهم ، كل على حسب استطاعته وما وفق إليه ، فنرجو الله تبارك وتعالى أن يجعلنا على منهاجهم .

ولم أعتن بترجمة الإمام مالك واستقراء مناقبه ، فهذا شىء مبذول ومكرر فى كثير من المراجع ، ولكننى انتقيت مواقفه العقدية وما يدل على ذلك ، فأرجو الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه ، وأن يحشرنى فى زمرة ممن خدم العقيدة السلفية ودافع عنها . وأبى الله أن يَتِمَّ كتاب إلا كتابه ، فالعجز والتقصير والغلط والأخطاء من شيمنا ، ويكفينا أن لا نتعمد الخطأ ، وأن ننشد الصواب ونتحرّاه قدر ما نستطيع وهو حسبى ونعم الوكيل .

المؤلف

مصادر الإمام مالك بن أنس العقدية

- المصدر الأول : القرآن الكريم .
- المصدر الثاني : السنة المشرفة .
- المصدر الثالث : مشايخه وأساتذته .

المصدر الأول من مصادر الإمام مالك العقديّة

القرآن الكريم

معلوم أن الإمام مالكا رحمه الله وُلد في سنة ثلاث وتسعين ، عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل .
وطلب العلم وهو حَدَثٌ ، بُعيد موت القاسم وسالم ، أفاده الذهبي في السير^(١) .
ومعلوم أن الإمام مالكا رضي الله عنه ولد في بيئة العلم والعلماء ، وأخذ ميراث الرسول ﷺ وأدرك كبار القراء والمحدثين .
وعناية الإمام مالك بكتاب الله جليلة واضحة ، فقد عقد في موطئه كتابا كبيرا سماه « كتاب القرآن » ذكر فيه :
آداب قراءة القرآن .
وكيف حُزِبَ القرآن .
واختلاف القراءات في القرآن .
وكيف كان ينزل القرآن على النبي ﷺ .
وبعض أسباب نزول القرآن .
وما جاء في سجود القرآن ، وبعض فضائل بعض السور في القرآن .
وبعض الأذكار التي تتعلق بالقرآن .
وقيام الليل بالقرآن وغير ذلك مما يتعلق بدراسة القرآن دراسة واسعة .
ونجاء عنه رضي الله تعالى عنه أنه دائما كان يقول : القرآن هو الإمام .
وحكى عنه أهل بيته أن متعته كانت في تلاوة القرآن .

(١) سير أعلام النبلاء [٤٩/٨] .

وله جزء فى التفسير يرويه خالد بن عبد الرحمن المخزومى يرويه القاضى عياض
عن أبى جعفر أحمد بن سعيد عن أبى عبد الله محمد بن الحسن المقرئ عن محمد
ابن على المصيصى عن أبيه بإسناده^(١) .

وقد صنف مكى القيسى كتابًا فيما روى عن مالك فى التفسير ومعانى القرآن .
وقد ذكره أبو عمرو الدانى فى طبقات القراء ، وأنه تلا على نافع بن أبى نعيم .
وقال بهلول بن راشد : ما رأيت أنزع بآية من مالك مع معرفته بالصحيح
والسقيم^(٢) .

فإذا تقرر ما ذكر ، فإن القرآن هو الأصل الكبير للعقيدة السلفية ، كما يئنا ذلك
فى كتابنا : أصول العقيدة السلفية .

(١) سير أعلام النبلاء [٨٩/٨] .

(٢) سير أعلام النبلاء [٩٥/٨] .

المصدر الثانى من مصادر الإمام مالك العقديّة

السنة المشرفة

لقد ضرب مالك بسهم كبير فى معرفة سنة رسول الله ﷺ وفقهها ، إضافة إلى علمه بالقرآن ، وأصبح إمامها ، حتى إنهم نزلوا عليه الحديث الذى رواه الإمام أحمد والترمذى وأبو داود عن أبى هريرة يبلغ به النبى ﷺ قال : « لِيَضْرِبَنَّ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ »^(١) .

قال الذهبى : ويروى عن ابن عيينة قال : كنت أقول هو سعيد بن المسيب حتى قلت : كان فى زمانه سليمان بن يسار وسالم بن عبد الله وغيرهما ثم أصبحت اليوم أقول : إنه مالك ، لم يبق له نظير بالمدينة .

قال الذهبى : قلت : كان عالم المدينة فى زمانه بعد رسول الله ﷺ وصاحبيه وزيد بن ثابت وعائشة ثم ابن عمر ثم سعيد بن المسيب ثم الزهري ثم عبيد الله بن عمر ثم مالك .

وعن ابن عُيَيْنَةَ قال : مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة فى زمانه .

وقال الشافعى : وصدق وبر ، فإذا ذُكر العلماء فمالك النجم .

قال الزبير بن بكار فى حديث : « لِيَضْرِبَنَّ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ » كان سفيان بن عيينة إذا حدث بهذا فى حياة مالك يقول : أراه مالك ، فأقام على ذلك زمانًا . ثم رجع بعد فقال : أراه عبد الله بن عبد العزيز العمرى الزاهد .

قال ابن عبد البر : وغير واحد ليس العمرى ممن يلحق فى العلم والفقه بمالك وإن كان شريفًا سيّدًا عابدًا .

(١) رواه الترمذى [٢٦٨٠] ، وأحمد [٢٩٩/٢] ، والحاكم [٩١،٩٠/١] ، والنسائى فى الكبرى [٤٢٩١] ولم أجده عند أبى داود .

قال أحمد بن أبي خيثمة : حدثنا مصعب قال : أخبرنا سفيان نرى هذا الحديث أنه هو مالك وكان سفيان يسألني عن أخبار مالك .

قلت : قد كان لهذا العمرى علم وفقه جيد وفضل ، وكان قَوَّالاً بالحقِّ أمراً بالمعروف ، منعزلاً عن الناس ، وكان يحض مالكا إذا خلا به على الزهد والإنقطاع والعزلة فرحمهما الله .

قال الذهبي : ولم يكن بالمدينة عالم من التابعين يشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيب والفقهاء السبعة والقاسم وسالم وعكرمة ونافع وطبقتهم ، ثم زيد بن أسلم وابن شهاب وأبي الزناد ويحيى بن سعيد وصفوان بن سليم وربيعة بن أبي عبد الرحمن وطبقتهم ، فلما تفانوا اشتهر ذكر مالك بها ، وابن أبي ذئب وعبد العزيز ابن الماجشون وسليمان بن بلال وفليح بن سليمان والداروردي وأقرانهم ، فكان مالك هو المقدم فيهم على الإطلاق والذي تضرب إليه آباط الإبل من الآفاق . انتهى من السير^(١) .

قال الذهبي : وكان مالك إماماً في نقد الرجال حافظاً مجوداً متقناً .

قال بشر بن عمر الزهراني : سألت مالكا عن رجل فقال : هل رأيته في كتبي ؟ قلت : لا . قال : لو كان ثقة لرأيته في كتبي .

فهذا القول يعطيك بأنه لا يروى إلا عمن هو عنده ثقة ، ولا يلزم من ذلك أنه يروى عن كل الثقات ، ثم لا يلزم مما قال أن كل من روى عنه وهو عنده ثقة أن يكون ثقة عند باقى الحفاظ ، فقد يخفى عليه من حال شيخه ما يظهر لغيره ، إلا أنه بكل حال كثير التحرى في نقد الرجال رحمه الله .

ابن الرقي حدثنا عثمان بن كنانة عن مالك قال : ربما جلس إلينا الشيخ فيحدث مجلَّ نهاره ، ما نأخذ عنه حديثاً واحداً ، وما بنا أن نتهمه ، ولكن لم يكن من أهل الحديث .

إسماعيل القاضي حدثنا عتيق بن يعقوب ، سمعت مالكا يقول : حدثنا ابن شهاب بيضعة وأربعين حديثا ثم قال : أعدها علي فأعدت عليه منها أربعين حديثا .
وقال نصر بن علي : حدثنا حسين بن عروة عن مالك ، قدم علينا الزهري فأتيناه ومعنا ربيعة ، فحدثنا بَنِيْفٍ وأربعين حديثا ، ثم أتيناها من الغد فقال : انظروا كتابا حتى أحدثكم منه ، رأيتم ما حدثتكم به أمس ، أي شيء في أيديكم منه ؟ فقال ربيعة : ههنا ، من يرد عليك ما حدثت به أمس . قال : ومن هو ؟ قال : ابن أبي عامر . قال : هات . فسرده له أربعين حديثا منها ، فقال الزهري : ما كنت أرى أنه بقي من يحفظ هذا غيري .

وروى علي بن المديني عن سفيان قال : رحم الله مالكا ، ما كان أشد انتقاده للرجال .

ابن أبي خيثمة حدثنا ابن معين قال : ابن عيينة ما نحن عند مالك ؟! إنما كنا نتبع آثار مالك وننظر الشيخ ، إن كان كتب عنه مالك كتبنا عنه .
وروى طاهر بن خالد الأيلي عن أبيه عن ابن عيينة قال : كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحه ، ولا يحدث إلا عن ثقة ، ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد موته . يعنى من العلم .

الطحاوي ، حدثنا يونس ، سمعت سفيان ، وذكر حديثا فقالوا : يخالفك فيه مالك . فقال : أتعرفني بمالك ، ما أنا وهو إلا كما قال جرير :

.. وابنُ اللبونِ إذا ما لَزَّ في قرنٍ لم يستطع صولةَ البُرِّ لي العناقيس

ثم قال يونس : سمعت الشافعي يقول : مالك وابن عيينة القرينان ، ولولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز .

وقال أشهب : سألت المغيرة بن عبد الرحمن عن مالك وابن الماجشون ، فرفع مالكا وقال : ما اعتدلا في العلم قط .

ابن المديني : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : أخبرني وهب وكان من أبصر الناس بالحديث والرجال ، أنه قدم المدينة قال : فلم أر أحداً إلا تعرف وتنكر ، إلا مالكا ويحيى بن سعيد الأنصاري .

قال عبد الرحمن بن مهدي : لا أقدم على مالك في صحة الحديث أحداً .
الحارث بن مسكين ، سمعت ابن وهب يقول : لولا أني أدركت مالكا والليث لضللت .

هارون بن سعيد ، سمعت ابن وهب ذكر اختلاف الحديث والروايات فقال : لولا أني لقيت مالكا لضللت .

وقال يحيى القطان : ما في القوم أصح حديثاً من مالك ، كان إماماً في الحديث .
قال الشافعي : قال محمد بن الحسن : أقمت عند مالك ثلاث سنين وكسر ، وسمعت من لفظه أكثر من سبعمائة حديث ، فكان محمد إذا حدث عن مالك امتلاً منزله ، وإذا حدث عن غيره من الكوفيين لم يجئه إلا اليسير .
قال ابن أبي عمر العدني : سمعت الشافعي يقول : مالك مُعَلِّمِي ، وعنه أخذت العلم .

وعن الشافعي قال : كان مالك إذا شك في حديث طرحه لحينه ^(١) .
ولو تتبعنا ما ذكره علماء الجرح والتعديل في الإمام مالك ، وفي الثناء عليه والتعظيم لقدره ، لسودنا صفحات كثيرة ، والذي يهمنا أن نذكر للقارئ ما يقتنع به أن الإمام مالكا كان من كبار علماء الحديث ، والمتضلعين منه ، والحافظين لروايته ، والعالمين بأسانيده ورجاله ، وإذا كان ذلك كذلك فمن الواضح ومن المعلوم عند أئمة السلف أن السنة هي الأصل الثاني للعقيدة السلفية ، فلذا كل ما ذكر في هذا البحث من المواقف العقيدية للإمام مالك فليس بالغريب ، فالأمر على أصله والابن ابن بيته ، وأهل مكة أدري بشعابها ، فخبرته بالقرآن والسنة مكنته من

إمامته فى العقيدة ، وقبل أن تغادر هذا الأصل نذكر نموذجاً لتمسك الإمام مالك بالآثار السلفية والدفاع عنها مهما كانت الجبهة ، ولو كانت حاكماً متسلطاً .
جاء فى السير : قال محمد بن جرير : كان مالك قد ضرب بالسياط واختلف فى سبب ذلك ، فحدثنى العباس بن الوليد ، حدثنا ابن ذكوان عن مروان الطاطرى ، أن أبا جعفر نهى مالكاً عن حديث : « ليس على مستكره طلاق »^(١) ، ثم دس إليه من يسأله فحدثه به على رؤوس الناس فضربه بالسياط .
وحدثنا العباس : حدثنا إبراهيم بن حماد أنه كان ينظر إلى مالك إذا أقيم من مجلسه حمل يده بالأخرى .

ابن سعد حدثنا الواقدي قال : لما دعى مالكاً وشورَ وشُمع منه وقبل قوله ، حسد وبغوه بكل شيء ، فلما ولى جعفر بن سليمان المدينة سعوا به إليه ، وكثروا عليه عنده وقالوا : لا يرى إيمان بيعتكم هذه بشيء وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن حنيف فى طلاق المكره أنه لا يجوز عنده . قال : فغضب جعفر فدعا بمالك فاحتج عليه بما رفع إليه عنه ، فأمر بتجريدته وضربه بالسياط ، وجذبت يده حتى انخلعت من كتفه ، وارتكب منه أمر عظيم ، فوالله ما زال مالك بعد فى رفعة وعلو .

قال الذهبي : هذا ثمرة المحنة المحموده ، أنها ترفع العبد عند المؤمنين ، وبكل حال فهى بما كسبت أيدينا ويعفو الله عن كثير ، « ومن يُرد الله به خيراً يصب منه »^(٢) .

وقال النبى ﷺ : « كل قضاء المؤمن خير له »^(٣) .
وقال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ ﴾ [محمد : ٣١] .

(١) سير أعلام النبلاء [٨٠/٨] .

(٢) أخرجه البخارى [٥٦٤٥] .

(٣) أخرجه مسلم [٢٩٩٩] بلفظ : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ... » .

وأنزل تعالى في وقعة أحد : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

وقال : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ .
فالمؤمن إذا امتحن صبر واتعظ واستغفر ، ولم يتشاغل بدم من انتقم منه ،
فالله الحكم المقسط ثم يحمد الله على سلامة دينه ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون
وخير له ^(١) .

ومن الآثار الكبيرة في السنة : موطأ الإمام مالك ، وهو يعتبر من أوائل كتب
السنة ، وهو شاهد لصاحبه بالإمامة . ألفه مالك خوفاً من طائفة الجهمية التي
انتشر ضلالها ، كما بيّنا ذلك في مواقفه العقيدية فيما ذكره ابن تيمية .
ومعلوم في الأئمة الأوائل أن الإمامة في السنة هي الإمامة في العقيدة السلفية ،
فرأس إمامته وذروة سنامه وتاجها المكلل هو العقيدة السلفية .

المصدر الثالث من مصادر الإمام مالك العقيدة

مشايخه وأساتذته

لقد التقى الإمام مالك بكبار المشايخ والفقهاء والمحدثين والقراء ، الذين ورثوا علم الرسول ﷺ وصحابته الكرام ، ومعلوم أثر الشيخ في تلميذه في حركاته وسكناته فضلاً عن علمه وعقيدته ، وكل متبع لعلم الجرح والتعديل يرى أن علم الجرح والتعديل أسس أول ما أسس على العقيدة ، وكان سببه والدافع إلى إنشائه هو العقيدة ، فما أحدثته الفرق الضالة من مذاهب عقدية مخالفة لمنهاج أهل السنة والجماعة ، وما أحدثوه من كذب وافتراء على الله ، واختلاق على رسول الله ﷺ دفع المحدثين إلى تأسيس علم الجرح والتعديل ، فالرواية كان لا يُسمح بها للمنحرف في عقيدته ، ومن ثبت عنه انحراف في عقيدته تُركت الرواية عنه إذا تبين ضلاله ، أو على الأقل تحفظ منه ، فلهذا مشايخ الإمام مالك رحمه الله كان منبعهم عقدي ، ولهذا ورث عنهم تلك الحكم العقدية التي ذكرناها في هذا البحث المبارك .

فلقد لقي الإمام مالك مئات المشايخ وسجلهم في موطئه ، وسجلت روايته عنهم في غير موطئه فأحصاؤهم يعسر ويطول ، والذي يهمنا أن مالكا استقى عقيدته من محدثين وفقهاء كبار منهم :

محمد بن شهاب الزهري ، وإمامته في الحديث معروفة .

ومنهم : ربيعة بن عبد الرحمن الإمام الكبير .

ومنهم : هشام بن عروة .

ومنهم : عطاء الخراساني .

ومنهم : سهيل بن أبي صالح .

ومنهم : يحيى بن سعيد الأنصاري .. قد ذكرهم الذهبي في سيره مرتين على

الحروف ، وذكر ما لكل واحد منهم من الأحاديث في الموطأ .

ما جاء فى الموطأ فى البيعة على العقيدة

عَقَّدَ الإمام مالك رحمه الله كتابًا فى موطئه سماه : « كتاب البيعة » وأدخل تحته أحاديث يدل بها على العنوان .

والبيعة التى شرعها رسول الله ﷺ هى البيعة على العقيدة ، فبيعة الأنصار التى كانت فى العقبة لم تكن إلا لحماية الرسول ﷺ مما يحمون أنفسهم وأولادهم فى تبليغ رسالته ، وعمود رسالته ﷺ هو محو الشرك وآثاره ، ونشر العقيدة الصحيحة التى جاءت من عند اللطيف الخبير نقية طاهرة فى كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون .

فالبيعة لا تكون إلا لإمام المسلمين وخليفتهم ، بشروطها التى سيدكرها لنا الإمام مالك فى النصوص المرفوعة إلى الرسول ﷺ ، فلهذا ما يفعله بعض الدجاجلة الصوفية فى الاحتيال على الجهال والغافلين من بيعة بالأوراد ؛ فهو عمل شيطانى لا أصل له فى الكتاب والسنة ، وما تفعله أيضًا بعض الجماعات والحركات الإسلامية فى الاحتيال على الشباب وإلزامهم فى التحزب معهم فى جمهورياتهم ، فهذا لا أصل له ، وهاك البيعة الشرعية من سنة رسول الله ﷺ .

○ روى مالك عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا رسول الله ﷺ : « فيما استطعتم »^(١) .

فإلسمع والطاعة لله ولرسوله فى أحكامه ، ومن يبلغ عن الله وعن رسوله ، ويقىم شرع الله ، ويقىم الحدود ، ويأخذ الحق من الظالم إلى المظلوم ، ويقىم العدل بينهم ، ويقىم الصلوات فيهم ، ويأخذ منهم الزكاة ، ويقىم لهم الحج ، ويجاهد بهم الكفار ، ويحميهم مما يحمى منه نفسه ، ويطعم فقيرهم ، ويداوى مرضاهم

(١) الموطأ [كتاب البيعة - ١] ، وأخرجه البخارى رقم [٧٢٠٢] ، ومسلم [١٨٦٧] .

فهذا الذى يستحق أن يعطى الولاء والبيعة الشرعية ، وما سوى ذلك فهو مجرد تلصص ولصوصية يقوم بها جماعة من المحتالين على العقول البشرية .

○ وروى مالك عن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت رقيقة أنها قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة بايعنه على الإسلام ، فقلن : يا رسول الله ، نبايعك ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك فى معروف . فقال رسول الله ﷺ : « فيما استطعتن وأطقتن » .

قالت : فقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، هلم نبايعك يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « إني لا أصافح النساء ، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة . أو مثل قولى لامرأة واحدة »^(١) .

التعليق : فالحديث الأول شَرُّهُ يطول ، والذى يهمنا منه بيعة النساء على التوحيد والعقيدة ، وأن النبى ﷺ كان يبايع الذكور والنساء على التوحيد ، وهكذا خلفاؤه من بعده ، كانوا يفعلون ، فكانوا يبايعون على التوحيد ؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما جاءوا إلا لإقامة التوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

ومما استفيد من الحديث : ترك مصافحة النساء مع طلبهن لذلك من رسول الله ﷺ ، وقد ورد فى النهى عن مصافحة النساء أحاديث كثيرة ، لكن المسلمين لجهلهم لها وتشوقهم إلى الخلاعة والانحلال دَرَجُوا على مصافحتهن ، كبارهم وصغارهم ، بل لم يقف الأمر عند المصافحة ، بل المعانقة والقُبْل فى الوجوه ؛ بزعم أنهم يؤدون تحية الإسلام ، والإسلام برئ منهم ، ولكنه اختلاس شيطاني يختلسه منهم ، فصلى الله على نبينا ورضى الله عن صحابته الكرام ، حيث وقفوا عند النصوص ، وبها اقتدوا ، وعليها قاتلوا .

(١) الموطأ [كتاب البيعة / ٢] ، والترمذى [١٥٩٧] ، والنسائى [٤١٨١] .

○ وروى مالك أيضًا عن عبد الله بن دينار : أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان يبأيه فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأُقرُّ لك بالسمع والطاعة على سُنَّة الله وسنة رسوله ، فيما استطعت^(١) .

(١) الموطأ [كتاب البيعة / ٣] .

حديث الفطرة في موطأ مالك

○ روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، كما تنتج الإبل من بهيمة جمعاء ، هل تحس فيها من جدعاء » .
قالوا : يا رسول الله ، أرأيت الذى يموت وهو صغير ؟
قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » ^(١) .

التعليق : هذا الحديث مما اختلفت فيه أنظار العلماء وتوجيهاتهم ، والذي يظهر أن الحديث يعنى أن الله خلق الإنسان وأعطاه من الاستعداد للتعرف به والاستقامة على دينه ما لم يُعطيه للبهائم والحيوانات ، فهو مستعد لقبول ما يُطبع فيه من خير ، فلهذا يجب علينا أن نستغل أبناءنا وموالدنا فى تعليمهم العقيدة الصحيحة التى وجدوا من أجلها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] فخلقهم لعبادته وحده ولم يخلقهم لغير ذلك ، فاستعداد الإنسان لعبادته وحده هو الأصل ، وهو صريح القرآن وصريح السنة : « خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين » ^(٢) فهذا التحريف عن هذا الأصل هو الطارئ ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] فالله تبارك وتعالى أخرجهم فى عالم الذر ، واستفهمهم عن نفسه ، فشهدوا له بالربوبية ، فلهذا فى هذا الحديث قال : « يهودانه أو ينصرانه » ، ولهذا اختلفوا فى أبناء المشركين ؛ ما مصيرهم فى الدنيا وفى الآخرة ؟ والذي دلت عليه النصوص وأعمال رسول الله ﷺ ، وهو الموافق لعدل الله ورحمته بعباده ، هو البراءة ، ولا يُلزمون بأى حكم من الأحكام التى تجرى على آبائهم .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الجنائز/٥٢] ، وابن عبد البر فى التمهيد [٥٧/١٨] ، وأخرجه

البخارى [٦٥٩٩، ٦٦٠٠] ، ومسلم [٢٦٥٨] .

(٢) أخرجه مسلم [٢٨٦٥] .

موقف مالك من البدع والمبتدعة

نسوق فى هذا الموقف نصوصا جاءت عن الإمام مالك فى ذم البدع والمبتدعة
كيفما كان نوعها :

جاء فى الاعتصام للشاطبى :

وقال مالك : قُبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل ، فينبغى أن تتبع
آثار رسول الله ﷺ وأصحابه ، ولا يتبع رأى ، فإنه من أتبع رأى جاءه رجل
أقوى فى رأى منه فاتبعه ، فكلما غلبه رجل اتبعه ، وأرى أن هذا بعد لم يتم .
○ واعملوا من الآثار بما روى عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال :
« قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي إذا اعتصمتم به : كتاب الله وسنتى ، ولن
يفترقا حتى يردها على الحوض » (١) .

التعليق : هذا النص من جوامع الحكم والكلم لعلماء الإسلام ، ترى الإمام مالكا
يحصص الدين فى الكتاب والسنة ، ويرى أن الأمر قد انتهى بقبض رسول الله ﷺ إلى
الرفيق الأعلى ، وأنه لم يترك مجالا لأحد يأتى بعده ، وأن الكمال فى اتباعه ﷺ ،
وأن رأى لا قرار له ولا ميزان مهما كان قائله ، وإلا لا معنى للنسبة والرسالة ، إن
فتحنا باب رأى فى دين الله فعلماء المسلمين يجب عليهم أن يتعلموا النصوص
القرآنية والنبوية ، وأن ينوروها بالآثار السلفية ، وأن يوجهوها بما من الله تبارك وتعالى
عليهم بفهم منتزع من الكتاب والسنة ؛ هذا فى مجالات محدودة .

(١) كتاب الاعتصام [٦٦٠/٢] . والحديث أخرجه مالك [كتاب القدر/٣] ، والترمذى

وجاء فى سير أعلام النبلاء قال الذهبى : وبه حدثنا محمد بن أحمد بن على حدثنا الحلوانى ، سمعت مُطَرِّفَ بن عبد الله ، سمعت مالكا يقول : سن رسول الله ﷺ وولاة الأمور بعده سننا ، الأخذ بها اتباع لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر فى شيء خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ^(١) .

التعليق : هذا نص عظيم وقاعدة كبرى فى الدين ، من تمسك بها نُجِّي ، ومن انحرف عنها هلك ؛ فالدين كُمل بسنة رسول الله ﷺ ، وخلفاؤه رضى الله تعالى عنهم بعده . أحيوها وثبتوها فى قلوب المسلمين ، وأقاموا معالمها عقيدة وعبادة وأخلاقا ونكاحا وطلاقا وبيعا وشراء وحكما وقضاء وجهادا وغزوا ولباسا وذهابا وإيابا ، وفى كل الحركات والسكنات ، أقاموا دولة الإسلام وقضوا على أعلام الكفر والشرك والأصنام ، ومحقوا البدع والمبتدعة ، وما تركوا أحدا يرفع رأسا إلا بسنة وكتاب ، فبهما يتحركون وبهما يغزون وإليهما يدعون ، تسييحهم وذكرهم هو كتاب الله ، وغرسهم وثمارهم هو سنة رسول الله ﷺ ، فماذا يستدرك المتأخرون وما عساهم أن يفعلوا ، ألم يبين أولئك المنهاج ، واستكملوا الطريق وعبدوها ، فالاستدراك عليهم وقاحة ، والبدعة ضلال وانحراف وغرور وظلم وخروج عن دين الله ، فهدى النبى ﷺ والسلف هو الهدى الذى يجب اتباعه ، ومن ابتغى غيره ، فكما قال هذا الإمام - طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مثوانا ومثواه - : ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا . فهل هناك أصرح من هذه العبارة من هذا الإمام فى الدعاء على المبتدعة على اختلاف أنواعهم ؟! والله المستعان .

(١) سير أعلام النبلاء [٩٨/٨] .

وفيه أيضًا عنه ، قال : وبه إلى الحلواني ، سمعت إسحاق بن عيسى يقول : قال مالك : أكلما جاءنا رجل أجدل من رجلٍ تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله ؟!

○ وبه حدثنا الحسن بن سعيد حدثنا زكريا الساجي حدثنا أبو داود حدثنا أبو ثور سمعت الشافعي يقول : كان مالك إذا جاء بعض أهل الأهواء قال : أما إني على بينة من ديني ، وأما أنت فشاك ؛ اذهب إلى شاكٍ مثلك فخاصمه ^(١) .

التعليق : رحمة الله على الإمام مالك حيث أشرب النصوص في قلبه ، وأشرب حبها ، وأصبحت نوره الذي يستضيء به ، ويرفض كل ما سواها ، ويعتبر أصحاب الخصومات شاكين في دينهم ليس عندهم إلا الظن والتخمين والحرص ، فهم الخراصون ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلِ الْخَرَّاصُونَ ۖ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهَوْنَ ﴾ [الذاريات] فترك النصوص عند الإمام مالك جريمة كبرى يلزم منها التنقل في دين الله في كل لحظة ، فالرجال الذين لا عناية لهم بالنصوص لا ينبغي لنا أن نأبه بهم ، ولا أن نقيم لهم وزنًا مهما بلغت عقليتهم وفرط ذكائهم ، فقد يؤتى الرجل ذكاء ولا يؤتى زكاة ، والتزكية هي العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والفقر والفرقة هو الاشتغال بأقوال الرجال والخصومات التي لا تنتهي إلا باللعن والشتم ، وربما تؤدي إلى المفارقة والقتل ، فمعرفة النصوص والعناية بها هو جمع كلمة المسلمين على منهاج واحد ، مهما بعدت أقطارهم ومنازلهم ، والاشتغال بأقوال الرجال والعكوف عليها والوقوف عندها ، تفرق بين المرء وزوجه وبين الابن وأبيه وبين الأخ وأخيه ؛ فضلًا عن أن تجمع شمل المسلمين ، فالذين يريدون جمع شمل المسلمين ولم ترضهم الفرقة الحاصلة في صفوف المسلمين ، فعليهم أن يكرسوا جهودهم في إرجاع المسلمين إلى مصادر السنة الصحيحة ، وأن يبعدوهم عن كتب الخرافات والدجل والآراء الفقهية والصوفية البعيدة عن الدليل ، بل بعيدة عن الأصول الإسلامية الكبرى ، والله المستعان .

(١) سير أعلام النبلاء [٩٩/٨] .

○ وجاء في المدارك : قال رحمه الله : ولم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا من الذين يُقتدى بهم ومعمل الإسلام عليهم أن يقولوا : هذا حلال وهذا حرام ، ولكن يقولون : أنا أكره كذا وأرى كذا ، وأما حلال حرام ، فهذا الافتراء على الله ؛ أما سمعتم قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهُ تَفْتَرُونَ ﴾ ^(١) [يونس : ٥٩] .

التعليق : هذا النص العظيم يبين لنا توارث المنهاج السلفي خلفاً على سلف ، في الوقوف مع النص وعدم الجرأة على التلغظ بتحليل أو تحريم ، وإن فهموا من النص ما يدل على ذلك ، أو بدراسة الأصول ومقارنتها ما يفهم من ذلك ، ومع ذلك خوفهم من الله يمنعههم مقارنة أنفسهم بمن لا ينطق عن الهوى ، الذي يأخذ أحكامه من السماء ، وهو على يقين من أمره ؛ لأنه مبلغ عن الله ، فالحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله ، والشرع ما شرعه الله ، والفرض ما فرضه الله ، والواجب ما أوجبه الله ، والمستحب ما أحبه الله ، والمكروه ما كرهه الله ، والمباح ما أباحه الله . فليس لأحد نصيب من هذه الأحكام مهما بلغ علمه ومهما شاخ عمره ، فما بال أهل زماننا وقبله شرعوا للناس عبادات ودعواهم إليها وقيدوها بزمان ومكان وبياعات وأوراد ، وشرعوا مواسم وأوقاتاً وحدوداً وأعداداً ، وقعدوا قواعد ما أنزل الله بها من سلطان ، وخصصوا لأناس شكلاً ولباساً معيناً ، واعتقدوا التحليل والتحريم لمشايخهم وساداتهم وأئمتهم ، وقراءة مثل هذه النصوص من أئمة السلف كافية في معرفة بطلان ما عليه القوم الذين ملؤوا الدنيا بدعاً وصياحاً وشططاً وزعقاً ، وغير ذلك مما هو مشاهد في هذا الزمان ، والله المستعان .

(١) ترتيب المدارك [١٧٩/١] .

وجاء في الاعتصام : قال أبو مصعب : قدم علينا ابن مهدي ، فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف ، فلما سلم الإمام رmqه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا ، وكان قد صلى خلف الإمام ، فلما سلم قال : مَنْ ههنا من الحرس ؟ فجاءه نَفْسَان ، فقال : خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه ، فقبل له : إنه ابن مهدي ، فوجه إليه وقال له : ما خِفْتُ اللهَ واتقِيتَه أَنْ وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بنظرٍ إليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئا لم نكن نعرفه ، وقد قال النبي ﷺ : « من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (١) .

فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه ألا يفعل ذلك أبداً في مسجد رسول الله ﷺ ولا في غيره (٢) .

التعليق : ما أحسن هذه النصوص وما ألطفها وألذها ، تعطى نموذجاً صالحاً صارماً في التمسك بالسنة ، وسد أبواب الذرائع على البدع ، قليلها وكثيرها ، وتخبرنا بأن علماء سلفنا الصالح كانت حراستهم على السنة والكتاب أكثر من حراسة أصحاب الكنوز على كنوزهم ومن الخائفين من أعدائهم ، فلم يتوان الإمام مالك في عقوبة من رآه يعمل عملاً لم يكن عليه السلف الصالح ، فهؤلاء هم العلماء وهؤلاء هم الشعوب الصالحة الذين لا يتأخرون عن كلمة علمائهم ، فيرون أمرهم واجب الطاعة ؛ وذلك لما يرونه فيهم من تمسكهم بسنة رسول الله ﷺ ، فأين علماء اليوم من أعلام الشرك ومظاهره ؟ ومن البدع الكبرى والصغرى التي لا يخلو منها زمان ولا مكان ، فبدلوا وغيروا ووقفوا مثل هذه الوقفات العظيمة من هذا الإمام الكبير . وأين من يزعمون أنفسهم مالكية ، ومالك مُشْرِقٌ وهم مُغْرَبُونَ ، فهو ينصر السنة ويذب عنها ، وهم يحاربونها أينما حلت وارتحلت ، بأشكال وألوان المحاربة ، فإن كانوا مالكية حقاً فبمثل هذه المواقف فليقتدوا ، وإلا كما قال القائل : والدعاوى ما لم تقيموا عليها يبنات ؛ أبنائها أديعاء . والله المستعان .

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، ولعله رواية معنى لحديث الصحيفة ، وهو عند البخاري

[٧٣٠٦] ، ومسلم [١٣٦٦] .

(٢) كتاب الاعتصام [٦٨/٢] .

وجاء فى الاعتصام : قال : وحكى ابن العربى عن الزبير بن بكار قال : سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله ، من أين أحرم ؟ قال : من ذى الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ . فقال : إني أريد أن أحرم من المسجد . فقال : لا تفعل . قال : فإننى أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر . قال : لا تفعل ، فإننى أخشى عليك الفتنة . فقال : وأى فتنة هذه ، إنما هى أميال أزيدها ؟ قال : وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ ، إني سمعت الله يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(١) [النور : ٦٣] .

التعليق : فلا أدري ماذا يقول مبتدعة أهل هذا الزمان ، الذين أباحوا لأنفسهم حق التشريع الذى لا حد له ولا مقياس ، فكلما رأوا أنه يخدم مصلحتهم قالوا فيه : بدعة حسنة . وماذا ؟ فإن هذه طاعة لله ، فمن ينكرها يعتبرونه ملحدًا وأتى بدين جديد ، وربما نبذوه بلفظ وهابى أو أصولى أو متطرف أو من الإخوان المسلمين أو من أهل التكفير والهجرة ، وما إلى ذلك من الألفاظ التى يلقيها إبليس على ألسنتهم ، ولا يسأل : هل فعل هذا الأمر رسول الله أو قاله رسول الله أو فعله الصحابة أو قاله الصحابة ؟ لأن مثل هذا البحث نتيجة الوقوف عند المشروع من كتاب أو سنة ، والإمام مالك رحمه الله عليه لا يسمح لمستفتيه أن يتجاوز ما فعله رسول الله ﷺ فى الإحرام ، ولا يرى أن الزيادة ، وهو ما يسميه المبتدعة : البدعة الحسنة ، فتنة ، وأى فتنة أعظم من الزيادة على شرع الله ؟! سواء سميناها بدعة حسنة أو أعطيناه أى لفظ آخر . فالمبتدعة على كل حال أصحاب فتنة وهم مفتونون ، فكل من أحدث فى أمة محمد ﷺ ما لم يشرعه النبي ﷺ فهو صاحب فتنة ، والمتبع لتاريخ الإسلام والمسلمين وأحوالهم الاجتماعية والتربوية يرى أن الفتن التى توالى عليهم طيلة تاريخهم سببها فتنة البدع والمبتدعة ، فجمع الشمل فى اتباع السنة والفرقة الكبرى فى إحداث

(١) كتاب الاعتصام [١٣٢/١] .

البدعة والدعوة إليها ، وما أكثر هذا فى أهل هذا الزمان ، نسأل الله لنا ولهم الهداية ، وقد جاء تفسير الفتنة فى الآية بالشرك ، فليحذر المسلم من أن تصدق عليه الآية بكل معانيها .

ماذا يقول من يقول : إنما هى أذكاء أزيدها ، وإنما هى صلوات على النبی ﷺ أصليها ، وقرأ كتاب : دليل الخيرات ، لمحمد بن سليمان الجزولى ، وانظر فيه كم من الصلوات المشروعة التى صحت عن رسول الله ﷺ والصلوات المضافة ، وانظر حزب البتر وحزب البحر للناصرى ، وصلاة ابن مشيش ، وغيرها مما انتشر على السنة العوام وأشباههم ، الذين لا يبالون بالمشروع وغير المشروع ، فأصل الإمام مالك هذا ينطبق على كل كتاب وكل ذكر وكل طريقة وشيخها ، وكل من يزعم أنه يتعبد الله ويتقرب إليه ، فمن كان يحب مالكا ويرى فيه الأهلية للاجتهد والاستنباط فهذا أصله وقاعدته التى استخرجها من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن عمل السلف الصالح رضوان الله عليهم .

فأين الثرى من الثريا ؟ وأين مالك ومن يزعمون أنهم مالكية ؟ والله المستعان .

وجاء في ذم الكلام : عن مالك رحمه الله قال : السُّنة سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق (١) .

التعليق : هذا التصوير العظيم لسنة رسول الله ﷺ يدل على بلاغة الإمام مالك وتصوره الواسع وفراسته القوية ، وأنه من المحدثين ، أى : المُلهَمين ، فأهل السنة والجماعة المعتصمون بالكتاب والسنة فى أمن وأمان ، فى نِجاة وسلامة ، ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] ، وأهل البدع والشرك فارقون مفتونون ، بكل فتنة متنقلون ، شاكون لا قلب مطمئن ولا جسم مستريح ، أموال تنفق بلا حد ولا حصر ، وموائد تقدم بألوان من الأكل ، وبيوت تفتح بالليل والنهار يدخلها عشرات المبتدعة ، وزوايا تعج بجماعات من الحيارى ، كل هذا سيكون - وهو كائن - حسرة على أصحابها ، نعوذ بالله من الخذلان ، أجسام تنفق ساعاتها فى عبادات - بزعمها - لم تؤمر بها ، ومع ذلك كما قال الله تعالى : ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً ﴿ [الغاشية] ﴾ ، وكما قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر : ٨] ، فلهذا كرس علماءنا جهودهم فى تثبيت هذه القاعدة ، وهذا الأصل الذى أشار إليه الإمام مالك ، فانظر هداك الله ورعاك ببصرك وبصيرتك فى شرق العالم وغربه ، واعتبر الناس كلهم فى صعيد واحد تشاهدهم وتشرف عليهم ، هل ترى أنهم راكبون فى سفينة النجاة وهى سنة رسول الله ﷺ ، أو هم كما صورنا فى هذه الكلمة القصيرة تتلاطمهم أمواج البدع والكفر والشرك والمذاهب الكفرية الهدامة ، والبدع على اختلاف أنواعها ، وتقتل منهم ملايين البشر فى كل ثانية ونَفْسٍ ، ومع ذلك لا ينتبهون ولا يلتفتون ، ويحسبون أنهم محسنون ومهتدون ، وهم عن الحق عادلون ، فرحمة الله على الإمام مالك ، ما أغزر حكمته وأجمعها لمن شاء أن يعقل عنه .

(١) ذم الكلام [ص : ١٧٤] .

جاء في الاعتصام : وحكى ابن وضاح قال : ثَوَّبَ المؤذن بالمدينة في زمان مالك ، فأرسل إليه مالك فجاءه ، فقال له مالك : ما هذا الذى تفعل ؟ فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا ، فقال له مالك : لا تفعل ، لا تُحدث في بلدنا شيئاً لم يكن فيه ، قد كان رسول الله ﷺ بهذا البلد عشر سنين ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، فلم يفعلوا هذا ، فلا تُحدث في بلدنا ما لم يكن فيه . فكف المؤذن عن ذلك ، وأقام زماناً ثم إنه تنحى في المنارة عند طلوع الفجر ، فأرسل إليه مالك ، فقال له : ما الذى تفعل ؟ فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر ، فقال له : ألم أنهك لا تُحدث عندنا ما لم يكن . فقال : إنما نهيتنى عن التشويب . فقال له : لا تفعل ، فكف زماناً ، ثم جعل يضرب الأبواب ، فأرسل إليه مالك ، فقال له : ما هذا الذى تفعل ؟ فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر ، فقال له مالك : لا تفعل لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه (١) .

التعليق : رحم الله الإمام مالكا فبمثلته حفظ الله هذا الدين ، وكأنه ينزل من السماء آيات وأحاديث ، كأن رسول الله ﷺ يخاطب أمته ، فلم يبدل ولم يغير ، وذلك لما هيا الله له من رجال جهابذة قَدَرُوا القرآن والسنة حق قدرهما ، وها هو الإمام مالك ؛ يتبع النقيير والقطمير ، وَيَذُبُّ عن سنة رسول الله ﷺ القليل والكثير ، ويسد جميع الثغرات والنوافذ التى يمكن أن يلج منها من يريد بالإسلام ما يريد ، ولو عرضت هذه الصورة التى وقفها الإمام مالك على أحد علماء المسلمين الجهلة بدين الله لقال : وماذا فى هذا ؟ مؤذن يريد الخير للمسلمين ، يوقظهم للصلاة بوسائله الخاصة ، فمن يقف أمام هذا فهو متنطع متشدد غال !! ولكن لا يدري المسكين ماذا يحدث بعد هذا ، وقد كان ما توقعه الإمام مالك رحمة الله عليه ، فقد حدث من الألفاظ والأصوات الشركية والبدعية على منارات المسلمين بالليل والنهار ، بأنغام وأناشيد ، وأشعار واستغاثات بغير الله ، وشركيات وبدع ، أحدثها الروافض ومن صار فى

(١) كتاب الاعتصام [٦٩/٢] .

دربهم ، واستحسنها المسلمون فى كل بقعة من بقاع الأرض إلا بعض البلاد التى طهرها الله من الشرك والبدع ، وهى قليلة لا تمثل نقطة فى بحر ، وعلماء المسلمين ساكنون مستحسنون لهذه الأعمال البدعية الشريكة ، ويشاركون فى ذلك ، ويشنون ويمدحون هذه الأعمال ، بل ربما خصصت أوقاف وجوائز للقائمين بهذه الأعمال البدعية .

ولو قام الإمام مالك ورأى ما أحدثه المُحدثون من تثليث فى الأذان يوم الجمعة ، وغير منصت بين يدي الخطيب ، وتلاعب بكتاب الله قبل صعود الخطيب ، وضجيج فى المساجد ، والأسواق أهدأ منها ، ماذا سيقول الإمام مالك ؟ أيسحسن هذا !! أم يقول : لا تُحدثوا فى ديننا ما لم يكن منه . ولكن أين المقتدون بالإمام مالك ، والذابون عن سنة النبي ﷺ !؟ هم فى القبور ، ولعل الله تعالى يهيبه لامة محمد مثل هذا الإمام ، ويهيبه رعية تسمع لمثل هذا الإمام ، ويهيبه أعوانا وأنصاراً تنصر مثل هذا الإمام ، والله المستعان .

وجاء في ذم الكلام : عن الإمام مالك قال : من أراد النجاة فعليه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ (١) .

وجاء في الاعتصام : قال ابن حبيب : أخبرني ابن الماجشون أنه سمع مالكا يقول : التثويب ضلال . قال مالك : ومن أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها ، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ، فما لم يكن يومئذ ديننا لا يكون اليوم ديننا (٢) .

التعليق : وهل بعد هذه الصراحة من صراحة ، وهل بعد هذا الحكم من حكم آخر ؟ الإمام مالك يُرجع دين الله إلى الكتاب والسنة ، وإلى تطبيق الصحابة والتابعين لهما ، ويرى في ذلك كمال الدين ؛ عقيدة كاملة منتهية ، عبادات تامة ، أخلاقا كاملة ، زهدا وتربية وورعا في غاية التمام ، فماذا بعد هذا ؟ ألا يكفي للمسلم أن يكون هذا نموذجه وقدوته ؟! فماذا سيأتي به المبتدعة من جديد ؟ اللهم إلا إذا كانت رسالة جديدة تقوم مقام السابقة ، فلذا كان يرى الإمام مالك أن عدم الكفاية والاكتفاء بما كان عليه سلف الأمة بما فيها نبيها ﷺ هو اتهام للنبي ﷺ بالخيانة في رسالته ولا شك أن من اعتقد هذه العقيدة هو كافر إجماعا ، وهذا الإلزام الذي ألزم به الإمام مالك كل مبتدع ؛ يجعل كل عاقل مسلم يقشعر جلده ويقف شعره ولا يخطو خطوة في دينه إلا بنص من كتاب أو سنة ، وإلا كما قال الإمام مالك : فقد زعم أن محمدا قد خان الرسالة ، ويا لها من عقيدة سيئة تجرى بصاحبها في أسفل سافلين .

..

(١) كتاب ذم الكلام [ص : ١٧٥] .

(٢) كتاب الاعتصام [٥٣/٢] .

جاء فى الاعتصام : وخَرَّجَهُ ابن وضاح ، وهو فى العتبية من سماع ابن القاسم
عن مالك رحمه الله ، أنه سئل عن قراءة : قل هو الله أحد ، مرارًا فى الركعة
الواحدة ، فكره ذلك وقال : هذا من محدثات الأمور التى أحدثوا (١) .

التعليق : هذا فى زمان الإمام مالك ، وما بينه وبين الرسول ﷺ إلا التابعون
والصحابه ، ومع ذلك يشتكى من أهل زمانه فى إحداث أمور جديدة فى دين الله ، فماذا
يقول فى القرون المتأخرة التى تلت فيها سنة رسول الله ﷺ علمًا وعملاً وحكمًا
وعقيدة وعبادات ومعاملات ؟! فكل من أراد أن يحتال على جماعة من الناس نصب
لهم فخًا وقال : هذه قربات ، ولجهل الناس يتسابقون إليها ، ولا يدرى المساكين أنهم
واقعون فى المصيدة ، وبُعْدُهم عن الله هو المصيبة ، وعلى كل حال ، فالإمام مالك
يمنع الأشياء المحدثه ، ولو كان ذلك فى أمهات القرآن ، فمن يعترض على قراءة سورة
الإخلاص وهى تعدل ثلث القرآن ؟! ولكن الكيفية فى قراءتها زمانًا ومكانًا وصفة
وطريقة لم تكن من أمر رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام ولا التابعين لهم بإحسان ،
فالهذى هديهم ، والنهج نهجهم ، والخير خيرهم ، والبركة بركتهم ، فاتباعهم نجاح
وفلاح ، ومفارقتهم سخط وعقاب ، وبالله من حال المسلمين من مفارقتهم للمنهاج
السلفى الواضح السليم واتباعهم لكل شائق وناهى .

(١) كتاب الاعتصام [١٥/٢] .

جاء فى الاعتصام : قال مالك : أول من جعل مصحفًا ابن يوسف ، يريد أنه أول من رتب القراءة فى المصحف إثر صلاة الصبح فى المسجد ، قال ابن رشد : مثل ما يصنع عندنا اليوم ، قال الشاطبى : فهذه محدثة ، أعنى وضعه فى المسجد ؛ لأن القراءة فى المسجد مشروعة فى الجملة معمول بها ، إلا أن تخصيص المسجد بالقراءة على ذلك الوجه هو المحدث ، ومثله وضع المصاحف فى زماننا للقراءة يوم الجمعة ، وتحبيسها على ذلك القصد (١) .

التعليق : قراءة القرآن من أفضل القُرْبِ إلى الله ، وخير ما يُتَعَبَّدُ به ، وقراءة الحافظ له أجر وثواب ، والقارئ فى المصحف مأجور على قراءته ، ولكن إحداث ما يخالف المنهاج السلفى الصحيح يؤدى بصاحبه إلى الإثم ؛ لأن المساجد مشاعة بين المسلمين وأنها ملك جماعة المسلمين ، فهى بيوت الله ، فتجب صيانتها من الأقدار والأوساخ الحسية ، وتطهيرها وتهيتها للمصلين ، جماعات وفرادى ، والذاكرين والقائمين والراكعين فلا تشويش ولا ضوضاء ولا رفع للأصوات ، فمن أحدث فيها ما لم يكن عليه سلف الأمة ولو كان ذلك بالذكر والقراءة فى المصحف ، فهو مبتدع ، ويصدق عليه أحاديث اللعن لكل مبتدع ، فترتيب قراءة الأحزاب والأوراد والأدعية بصفة جماعية إثر كل الصلوات أمر مبتدع محدث ، يآثم فاعله والمشارك فيه والمؤيد له والقائم عليه ، هذه هى الحقيقة التى يرمى إليها الإمام مالك وابن رشد والشاطبى ، وكلهم فحول وأئمة ، فبالسلف نفتدى .

..

(١) كتاب الاعتصام [١٩٢/١] .

وجاء فى الاعتصام أيضًا : ويشبه هذا ما فى سماع ابن القاسم عن مالك فى القوم يجتمعون جميعًا فيقرأون فى السورة الواحدة مثل ما يفعل أهل الإسكندرية ، فكره ذلك وأنكر أن يكون من عمل الناس .

وسئل ابن القاسم عن نحو ذلك فحكى الكراهية عن مالك ونهى عنها ورآها بدعة ، وقال فى رواية أخرى عن مالك : وسئل عن القراءة بالمسجد فقال : لم يكن بالأمر القديم ، وإنما هى شئ أُخْدِثَ ولم يأت آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها ، والقرآن حسن ^(١) .

التعليق : هذا النص يؤكد ما سبق من مذهب الإمام مالك وأصوله العظيمة التى لا ترضى بغير السنة بديلاً ، وقد وقع ما حذر منه الإمام مالك ، فاجتمع الناس فى المساجد وصاح بعضهم على بعض بالقرآن ، وقطعوا آياته وحرفوا معانيه ، وبعضهم يبدأ بأول الكلمة فيقرأ نصفها ، والآخر يكمل له ، زيادة على الأشعار والصلوات البدعية التى تُقرأ فى كل وقت وحين ، فأين مالك وأصحابه من مبتدعة أهل هذا الزمان الذين أباحوا لأنفسهم كل عمل ، ورأوا تثبيت أمورهم ومصالحهم الشخصية العامة والخاصة فى القيام على هذه الأمور البدعية وحمايتها والدُّؤد عنها ؛ بتأليف الكتب وإصدار الفتاوى التى لا مستند لها إلا الصُّدْر ، وادعاء أن هذه من مقومات الوطن ، فمتى كان الوطن ومقوماته حاكمًا على الإسلام ؟ فالمسلمون جميعًا وطنهم الأرض كلها ، ودينهم واحد وعقيدتهم واحدة ، فلا دين لمشرق وحده ولا دين لمغرب وحده ، ولا للشمال وحده ولا للجنوب وحده ، فدين الله واحد ووطن المسلمين واحد ، وما حدث من تسمية دول معينة بأسماء مختلفة ؛ إنما هو من تخطيط الصهاينة القداماء والمحدثين ، ومن أعمال المستعمر القديم والحديث ، وإلا فما معنى الخلافة الإسلامية التى يجب أن يدخل تحت لوائها كل مسلم ، وهى حماية لكل مسلم من كل معتد ظالم ، اللَّهُمَّ أَيْقِظِ الْمُسْلِمِينَ وَأَلْهِمَّهُمْ رَشْدَهُمْ وَخُذْ يَدَهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وامحق البدع والمبتدعة وكل من يقوم عليها ويدعو إليها ، كائنًا من كان ، أميرًا أو مأمورًا ، والله المستعان .

(١) كتاب الاعتصام [٣/٢] .

جاء فى الاعتصام : قال ابن الماجشون : سمعت مالكا يقول : من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً (١) .

وجاء فى الاعتصام : حكى عياض عن مالك من رواية ابن نافع عنه قال : لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها دون الإشراف بالله شيئاً ، ثم نجا من هذه الأهواء ؛ لرجوت أن يكون فى أعلى جنات الفردوس ؛ لأن كل كبيرة بين العبد وربّه هو منها على رجاء ، وكل هوى ليس هو على رجاء إنما يهوى بصاحبه فى نار جهنم (٢) .

التعليق : ما نزال نعيش مع هذه النصوص القيمة التى تؤكد لنا صدق نوايا سلفنا الصالح ، وتبين لنا مدى مفارقتهم للبدع والمبتدعة ، فالإمام مالك رحمة الله عليه يرى أن الذنوب كبيرها وصغيرها صاحبها على رجاء ، يرجو من الله مغفرتها ، وأما صاحب البدع ليس على رجاء ؛ لأن البدع مشاركة لله تعالى فى تشريع دينه ، فالتشريع خاص به ومقصود على حقه ، فمن نازعه فيه قصم ظهره وأصلاه سعيه ، فلو كان المبتدعة يقفون على هذه المواقف من هؤلاء الأئمة ، ما أظنهم يستمرون على بدعهم ، ولكن إعراضهم عن قراءة هذه النصوص وهذه المواقف المشرفة جعلهم يذهبون وراء كل مبتدع وبدعة ، ويرون فيها القربة ، هذا إن أحسنّا بهم الظن ، وأنه لا مصلحة لهم دنيوية ؛ وإلا فالأمر أعظم وأظلم .

..

(١) و (٢) كتاب الاعتصام [٤٩/١] و [١٣٠/١] .

وجاء فى السير : عن إبراهيم بن المنذر حدثنا أبو مصعب عن مالك قال : لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه يُغْلِنُ السفه ، وإن كان أروى الناس ، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه ، ومن يكذب فى حديث الناس ، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يُحدث به (١) .

التعليق : انظر - رعاك الله - إلى هذا النهج الدقيق فى تلقى العلوم الشرعية ، وأن صاحبها وشيخها ، مهما توفرت فيه الأهلية العلمية ، لا بد أن يكون صاحب سنة ، وألا يخالط البدعة عقيدة وعلماً وعملاً . وأما إن كان فيه فرع من فروع البدعة قليلها وكبيرها ، فلا يصلح للرواية أخذاً وتلقياً وإعطاءً وتعليمًا وتعلماً ، فالمبتدع عند أهل السنة منبوذ على كل حال لا يؤخذ منه إلا ما يؤخذ من اليهود والنصارى من علوم دنيوية ، وأما العلوم الشرعية فلا يؤخذ شىء منها ، وهذه المقارنة التى ذكرها الإمام مالك فى هذه القولة العظيمة ؛ تدل دلالة واضحة على نبذ السلف للمبتدعة ، وأنهم فى درجة السفهاء المعلنين عن سفهم ووقاحتهم وخروجهم فى أفعالهم وأقوالهم عن حد المروءة واللياقة ، والكذابين الذين لا ثقة بأخبارهم ، والمغفلين الذين لا يعرفون ما يدور حولهم ، فكيف ببعض شبابنا الآن ينضوون وراء رايات المبتدعة ، ودعاة البدعة الصريحة الذين يصرحون بيدعهم فى كتبهم ومقالاتهم وترويجهم لكتب المبتدعة القدماء ، وحث الشباب على اقتنائها والاغتراف من شرها ، فيالله العجب ما أجهل هؤلاء الشباب بدين الله !! وجريهم وراء العاطفات التى لا ضابط لها إلا الانسياق وراء الشعارات البراقة التى لا تحمل إلا رعود وبرق البدع .

(١) سير أعلام النبلاء [٦٧/٢] .

وجاء فى السير أيضًا : عن أصبغ ، حدثنا ابن وهب عن مالك ، وسئل عن الصلاة خلف أهل البدع القدرية وغيرهم فقال : لا أرى أن يُصلى خلفهم ، قيل : فالجمعة ؟ قال : إن الجمعة فريضة ، وقد يُذكر عن الرجل الشئ وليس هو عليه . فقل له : أرأيت إن استيقنت أو بلغنى من أثق به ، أليس لا أصلى الجمعة خلفه ؟ قال : إن استيقنت . كأنه يقول : إن لم يستيقن ذلك فهو فى سعة من الصلاة خلفه (١) .

التعليق : هكذا يرى الإمام مالك رحمه الله فى هذه الفتوى العظيمة ، أن من شرط الإمام أن يكون الإمام سُنيًا خاليًا من البدعة ، فإن كان ، وإلا فلا تصح الصلاة وراء المبتدع إن تيقنا ببدعته .

فماذا يقول الإمام مالك لو بُعث إلى أهل هذا الزمان ، فرأى أئمتهم ما بين صاحب طريقة صوفية : إما تيجانية ، وهى من أخبث الطرق على الإطلاق وأضلها وأبعدها عن الشريعة ، وإما صاحب شعوذة مهرج يزعم أنه يشتغل بالكهانة ، أو مبتدع يقرأ على القبور ويتأكل بكتاب الله ، أو جاهل لا يدرى ما الصلاة وما شرعيتها وما تحتاج إليه ، فوالله لو قام الإمام مالك ورأى ما عليه أهل هذه المجتمعات التى اختارت لنفسها البدع منهاجًا وسلوكًا وارتزاقًا ووظيفة ، لجالدهم بالسيف ولدعاهم إلى الحق من جديد ، ولكن فى ورثة الأنبياء بعده خيراً كثيراً ، وأما شباب المسلمين الغيورين على هذا الدين عامة وعلى السنة خاصة ، فلا يرضون بالمبتدعة أئمة ، ولا بالمرتزقة الدجالين مفتين وموجهين . والله المستعان .

(١) سير أعلام النبلاء [٦٨/٨] .

وجاء في ذم الكلام : عن الإمام مالك : ما قلّت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء ، ولا قلّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء ^(١) .

التعليق : الله أكبر ، ما أعظم هذه الحكم وأسد هذا الكلام ، يعرف ذلك من يعيش واقع المسلمين ويحيا في وسط المذاهب الهدامة على اختلاف أشكالها وأنواعها وشعاراتها ، والبدع تلتهب وتأكل أجسام المسلمين ولا تترك منهم خلية إلا أمانتها وأصبحوا كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ ﴾ [المنافقون : ٤] ، والألبسة إذا رأيتها على أظهرهم تعجبك ، واللحاء على وجوههم منظر جميل ، والعمامة تعلو رؤوسهم أحيانا ، ولكن أين العمل وحديث رسول الله ، وأين صحيح البخارى بين أظهرهم وفي بيوتهم ومكتباتهم ، وأين إخوانه من المحدثين وبقية الكتب الحديثية ، تسمع بكليات الشريعة وتدخلها وتفحص مناهجها ، وتجذ الغالب عليها القانون الوضعي ، وتعد الثانويات والابتدائيات ، وتسمع بأسماء الأساتذة والمعلمين والمفتشين والموجهين والمجالس العلمية واللجان العلمية ، ولكن كما قال الإمام مالك : ما قلّت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء . فارفع بصرك كرتين أو كرتات تجد هذه كلها مدارس أهواء وكليات أهواء ، وأسماء ومجالس أهواء ، إلا من شاء الله .

وقانا الله شر أهل هذا الزمان ، الذين انعدمت فيهم الآثار ، ومات علماؤهم ، وذهب قراؤهم ، وبقي حثالة الناس ، فهم المتصدرون لأمرهم ، وييدهم مقالدهم إلى أن تنبعث الآثار من جديد ، وتأخذ الصدارة في علومهم ، ولا يزاحمونها بسفاسف وسفاهات لا تنفع في دنيا ولا أخرى ، ويكون المتولون لأمرهم علماء عاملون وسادات متقون ، منهجهم منهج السلف الصالح ، وقدوتهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعدوهم اليهود والنصارى والمجوس ، وما تفرّع عن هذه الفرق الكافرة ، التي باضت وفرّخت في العالم أجمع ، فيا حسرتي على ما فرط المسلمون في جانب الكتاب والسنة .

(١) كتاب ذم الكلام [ص : ١٧٤] .

وفى جامع بيان العلم وفضله : قال الهيثم بن جميل : قلت لمالك بن أنس : يا أبا عبد الله ، الرجل يكون عالماً بالسنة ، أيجادل عنها ؟ قال : لا ، ولكن يخبر بالسنة ، فإن قُبِلَتْ منه وإلا سكت^(١) .

التعليق : يرى الإمام مالك رضى الله عنه أن الطريق فى نشر سنة رسول الله ﷺ هو تعليمها وتكوين أطر يقومون بنشرها فى أبناء المسلمين ، كما فعل سيد الأولين والآخرين ، ويرى أن الإغراق فى الجدال مع أمة جاهلة لا تعرف قدرًا للسنة ، ربما يؤدى ذلك إلى محاربتها ومحاربة السنة ، فكل زمان له طريقته ، وكل وقت يُعامل حسب ظروفه وأهله ، ويبقى نشر السنة والدفاع عنها أمرًا حتميًا لا مناص منه ، والمتأخر عنه آثم مذنب متخلف ، قاعد عن الجهاد فى سبيل الله ، فنشر العلم هو مهنة الأنبياء والرسل ، ونشر السنة وعلومها والقرآن هو نيابة عن النبوة وأصحابها ، فتعزيز هذا المقام والدفاع عنه فرض على كل مسلم ، يعرف عن الله تعالى مراده وعن النبى ﷺ حاله وعن الصحابة رضى الله تعالى عنهم أعمالهم ، وإلا فسلام عليك لا نبتغى الجاهلين .

(١) كتاب جامع بيان العلم وفضله [٩٤/٢] .

وجاء فى التمهيد : فى ترجمة ريعة رأى : وكان مالك يفضله ويرفع به ويشئ عليه فى الفقه والفضل ، على أنه ممن اعتزل حلقة لإغراقه فى رأى (١) .

التعليق : هذا مالك المحدث الملهم ، الذى كان يتوقد ذكاء ، ويتحلى ورعاً ، وقد خالطت السنة لحمه ودمه ، ولا يريد سماع غيرها ولا مذاكرة ما سواها ، يفارق شيخه ، ويخاف أن يتأثر به ، ويغلب له رأى على الآثار كما وقع لريعة ، فيضطر إلى اعتزاله ومفارقتها ، ولا شك أن ريعة كان من أكبر أئمة التابعين ، وكان أحد فقهاء المدينة الثقات ، الذين عليهم مدار الفتوى ، ومع ذلك نرى هذا الموقف لإماننا مالك ، فكيف بمن سلموا أنفسهم وأسلموها وأسلموا أبناءهم وسلموهم إلى جماعة من المنحرفين والفاسقين والمجرمين والمدخنين السكارى ، باسم أنهم أساتذة ومعلمون ، إلا من شاء الله منهم ، فوقاه الله شر هذا الزمان ، فاختيار الأستاذ الناطق بالكتاب والسنة ، واختيار المجلس الصالح الناطق بالكتاب والسنة ، واختيار التلميذ المقبل على الكتاب والسنة ، ورفض أهل البدع والفلسفات والكلام المذموم الذى هو عبارة عن زبالات رأى ونفاياته ، منهج سلفى مطلوب ، فقارن بين رأى ريعة الذى فارقه مالك وبين أعداء الإسلام الذين يعثون فى الأرض فساداً ، باسم الفلسفات والفكر الإسلامى وغير الإسلامى والمنهج الغربى والشرقى ، وغير ذلك مما هو معاش فى الواقع ، فرد الله أمة محمد ﷺ إلى الصواب .

(١) كتاب التمهيد [٢/٢] .

○ وروى مالك فى موطئه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال : « تركت فىكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ؛ كتاب الله وسنة نبيه »^(١) .

التعليق : هذه حكمة نبوية أدخلها مالك فى موطئه بلاغاً ، والحديث صحيح عنده ، وهو الفَيْض والمراجع ، فالتمسك بالكتاب والسنة يورث الخير ويورث جنة الرضا ، وخلافهما يورث الضلال والسعير ؛ فلذا ينبغى أن تكون هذه الحكمة النبوية مفزع كل مسلم يفزع إليه ، ومنهاجه الذى يسير عليه ، فرحمة الله على إمامنا حيث يتحفنا فى مصنفه بهذه الحكم ، وصلاة الله وسلامه على نبينا حيث هداانا إلى الصراط المستقيم .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القدر/٣] ، والترمذى [٣٧٨٨] .

وجاء فى الاعتصام : قال مالك : لن يأتى آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها (١) .

التعليق : كيف يأتى آخر هذه الأمة بأفضل مما كان عليه سلفها ، والله تبارك وتعالى قد زكاهم فى القرآن وأثنى عليهم وجعلهم من المهددين المرضيين ، وقال فيهم : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقال : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] .
وقال فيهم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقد جاء فى الصحيح عن الرسول ﷺ : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (٢) .

فكيف بمن جمعت له تزكية الله ورسوله وكان مثالا عمليا فى السبق لكل مكرمة ، ودماء انهمرت فى سبيل الله ، وأموال أنفقت فى نشر دين الله ، وعلوم أنارت الكرة الأرضية ، وبلاغة سامقة ، وأنوف شامخة ، وشجاعة نادرة ، وذكاء وحفظ لا يقارن بأمة من الأمم ، وصحبة صادقة ، وإخلاص مستمر ، وهم مثال فى كل خير ، فالتعبير عن حالتهم يعجز القلم واللسان عن استيفائها والتعبير عنها ، ولو لم يكن

(١) كتاب الاعتصام [٢٧٤/١] .

(٢) الحديث أخرجه البخارى [٣٦٥٠] ، ومسلم [٢٥٣٥] عن عمران بن حصين ولكن بالشك فى الثالثة ، وجاء الحديث بدون شك عن عائشة عند مسلم [٢٥٣٦] .

لهم إلا مباشرة النور النبوى والجلوس مع ذلك الإمام والذهاب والإياب والنظر إلى
 محياه المشرق الندى ، تحيا به القلوب وتموت به أفئدة الشرك والبدع والفسوق ،
 فكيف بالتأخرين الذين بعدوا عن الله وفرقتهم اليهودية والنصرانية والمجوسية شذر مذر ،
 وأبعدتهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، ونزلت عليهم بمناهجها وتراثها الموروث
 العفن ، وأقنعتهم بصلاحيته ، وتسابقوا إلى الاقتناء من ثراتها والاهتداء بهديها ، يأتون
 بما هو أهدى من السابقين الأولين ، لعمرُ الله إن هذا لهو المحال الكبير ، وكما قال الله
 تعالى فى الكفار : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠]
 فإذا كان المتأخرون يأتون بما هو أهدى ويتقربون إلى الله بقرب ما فعلها السابقون ،
 فنقول : هذا من المستحيل الذى ذكر الله تعالى فى كتابه فى الآية السابقة ، مضت
 القرون الأولى ولم يُحدث أحد نفسه بإقامة احتفال مولد للنبي ﷺ ، ويأتى
 المتأخرون ويزعمون محبة النبي ﷺ والإشادة به ، فيقيمون حفلات رقص وطرب ،
 واجتماع على بدع وشر ، ما أنزل الله بها من سلطان ، فأين هم من السلف المحبين
 للنبي ﷺ القائمين على سنته ؟! وهذا مثال واحد ذكرته ؛ لانتشاره بين المسلمين
 وإقامة علمائهم عليه، وإلا فالبدع فى العالم مع الأسف قدر رمل علج .

وجاء في الإبانة عنه : قال : القرآن هو الإمام ؛ فأما هذا الجِراء فما أدرى ما هو .
وفيها عنه الجِراء يقسى القلب ويورث الضغن^(١) .

التعليق : هذا هو أصل مالك العظيم الذى استقى منه علومه وفقهه ، فلهذا اعتبره الإمام هو محل القدوة ، فقدوة الإمام مالك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما سوى ذلك فهو وراء لا معنى للاشتغال به ؛ لأنه خال من نور النبوة والرسالة ، وهو سبب قسوة القلب والقلوب ، وهو سبب الأضغان والفرقة ، فبقدر ما يكثر الإنسان من المراء والجدال الفارغ ، بقدر ما تكثر عداوته ومفارقتها لجماعة المسلمين الحققة ، وبقدر ما ينتشر الرأى والمراء والجدال فى الأمة بقدر ما تتفكك صفوفها وتتشتت كلماتها ، وهذا أمر مشاهد فى هذه الأعصار ، فالصوفية أكثر من مائة وخمسين فرقة وطائفة ، ومن شاء عدّ عددهم رجع إلى دائرة المعارف الإسلامية ، لقد ذكرهم وعدّد أصولهم وفروعهم فى المقال المكتوب فيها ، فبعضهم يلعن بعضًا ويضلّل بعضًا ، والفرق الكلامية من أشعرية ومائزديّة ومعتزلة ورافضة ، وغير ذلك مما هو على سطح العالم الإسلامى ، وكلهم - بزعمهم - ينتسبون إلى الإسلام ، وهل الإسلام فرق وطوائف متباينة متكاثرة ، أم هو وحدة واعتصام بالكتاب والسنة تحت إمام المسلمين الذى توفرت فيه شروط الخلافة ، يحكم الناس بكتاب الله وسنة رسوله ، ويطرح ما سواههما فى زبالة القمامة ، كما قال الشعبى رضى الله عنه وأرضاه .

فهذه القولة الجامعة التى قالها الإمام مالك تفسيرها والتعبير عنها بالواقع المُعاش يحتاج إلى مجلدات ، ولكن فى الإشارة ما يكفى اللبيب للفهم والعبرة والتشهير عن مساعد الجِد لإصلاح هذا الواقع المنتن المر .

وجاء في ذم الكلام : عن الإمام مالك رحمه الله : لا تحملن أحداً على ظهرك ، ولا تمكن الناس من نفْسِك ، أد ما سمعت وحسبك ، ولا تقلد الناس قلادة سوء ^(١) .

التعليق : يقصد الإمام مالك في هذا النص النير ، أن على المسلم أن يرى ذمته ولا يتحمل مسئولية أحد في تحليل أو تحريم أو اعتقاد أو تشريع ، وليقف عند النص ولا يتجاوزه فإن مجاوزة النص والقول على الله وعلى رسوله بغير علم يبقى ذلك في عنقه إلى يوم القيامة ، ويصدق عليه قول الله تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا مَسَاءً مَا يَرْزُقُونَ ﴾ [النحل : ٢٥] .

(١) كتاب ذم الكلام [ص : ١٧٣] .

موقف الإمام مالك من الزنادقة والمشركين

جاء في المدونة : قلت : هل كان مالك يكره أن يستعين المسلمون بالمشركين في حروبهم ؟ قال : سمعت مالكا يقول : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « لن أستعين بمشرك » ، قال : ولم أسمعه يقول في ذلك شيئا ، قال ابن القاسم : ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون معهم ، إلا أن يكونوا نواتية أو خدما ، فلا أرى بذلك بأسا .

○ عن مالك عن الفضيل بن أبي عبد الله عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : خرج النبي ﷺ قبل بدر ، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل ، قد كان يُذكر منه جرأة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه ، فلما أدركه قال : يا رسول الله ، جئت لأتبعك وأصيب معك . فقال له رسول الله ﷺ : « تؤمن بالله ورسوله ؟ » قال : لا ، قال : « فارجع فلن أستعين بمشرك » . قالت : ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة ، فقال له النبي ﷺ : « أتؤمن بالله ورسوله ؟ » فقال : لا ، قال : « فارجع » ، فرجع ثم أدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة فقال : « أتؤمن بالله ورسوله ؟ » ، قال : نعم ، قال رسول الله ﷺ : « فانطلق »^(١) .

وذكر ابن وهب عن جرير بن حازم أن ابن شهاب قال : إن الأنصار قالت يوم أحد : ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا حاجة لنا فيهم »^(٢) . انتهى من المدونة^(٣) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨١٧] ، وأبو داود [٢٧٣٢] ، والترمذي [١٥٥٨] .

(٢) وهو حديث مرسل . فيه عن عنة ابن إسحاق ، وهو مدلس ، وإرسال الزهري ، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية [١٤/٤] .

(٣) المدونة [٤١/٢] .

التعليق : قلت : هذه النصوص المنقولة تحت عنوان الاستعانة بالمشركون على قتال العدو ، يفهم منها أن مالكاً رحمه الله لا يجيز الاستعانة بالمشركون فى القتال وإلا فما فائدة هذا الاستدلال ؟!

ومالك رحمه الله كان يعرف خطر الالتصاق بالمشركون فى كل شئون الحياة ؛ لأن الالتصاق بهم والاختلاط معهم يهون الشرك فى نفوس المسلمين ، وهذا ما لا يرضاه إمام من أئمة الهدى ، فما جاء القرآن والنبوة إلا لمحاربة الشرك والمشركون ، فكيف لو عاش الإمام مالك رحمه الله فى القرن الخامس عشر من الهجرة ورأى حالة المسلمين مع الشرك والمشركون فى مشارق الأرض ومغاربها .

وجاء فى المدونة : قلت : أرأيت المرتد ، هل يعقد النكاح على بناته الأبكار فى قول مالك ؟ قال : لا يعقد فى رأى ، ألا ترى أن ذبيحته لا تؤكل ، وأنه على غير الإسلام ، ولو كان أبوها ذميًا وهى مسلمة لم يجر أن يعقد نكاحها ، كالمترد أيضًا ، وألا يجوز أخرى ، ألا ترى أن المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا غيرهم عند مالك ، فهذا يدل على أن ولايته قد انقطعت حين قال : لا يرثه ورثته من المسلمين ولا يرثهم (١) .

التعليق : هكذا يقرر ابن القاسم مذهب مالك فى انقطاع ولاية المرتد على ابنته أو قريبته التى له أن يعقد لها ، فالجامع بين البنت وأبيها أو قريبها هو الإسلام ، وتحصل المفارقة بينهما بالنكوص والرجوع على الإسلام ، وفى هذا الزمان مع الأسف قد يقع الكثير من الناس فى الردة ، وهو لا يشعر أو يجهل ذلك جهلاً كاملاً ، وأما المثقفون المتشدقون بكثير من المبادئ الكفرية ، فيرتدون فى كل لحظة ، ويزعمون أنهم متمسكون بالإسلام ، والإسلام منهم برىء ؛ لأن الإسلام لا يمكن أن يجتمع مع الكفر فى يوم من الأيام ، إما إسلام خالص أو ردة سوداء ، فحذار من الشعارات الجاهلية المنمقة البراقة .

(١) المدونة [١٧٦/٢] .

وجاء في المدونة : قلت : أرأيت المرتد ، أتقطع العصمة فيما بينهما إذا ارتد مكانه أم لا ؟ قال : قال مالك : تنقطع العصمة فيما بينهما ساعة ارتد .

قلت : أرأيت المرأة إذا ارتدت ؟ قال : لم أسمع من مالك فيه شيئاً ، إلا أنى أرى إذا ارتدت المرأة أيضاً أن تنقطع العصمة فيما بينهما ساعة ارتدت .

قلت : أرأيت إذا ارتد الزوج ، أيجعله مالك طلاقاً أم لا ؟ قال مالك : إذا ارتد الزوج كانت تطليقة بائنة ، لا يكون للزوج عليها رجعة إن أسلم فى عدتها . قلت : لِمَ ؟ قال مالك فى هذا : إنها بائنة ، وهو لا يعرف البائنة . قال : لأنه قد تركها حين ارتد ولم يكن يقدر فى حال ارتداده على رجعتها .

قلت : أرأيت المرتد إذا تزوج يهودية أو نصرانية وهو مرتد ، ثم رجع إلى الإسلام ، أقيم على ذلك النكاح أم لا ؟ قال مالك : إذا ارتد فقد وقعت الفرقة بينه وبين أزواجه إذا كنَّ مسلمات .

قال ابن القاسم : وتقع الفرقة بينه وبين أزواجه إذا كنَّ من أهل الكتاب ، فهذا يدل على أن نكاحه إياهن فى حال ارتداده لا يجوز ، رجع إلى الإسلام أم لم يرجع ، ألا ترى أنه لا يقر على امرأته اليهودية أو النصرانية حين ارتد ، وكذلك لا يجوز نكاحه إياهن فى حال ارتداده .

قلت : أرأيت المسلم تكون تحته اليهودية ، فيرتد المسلم إلى اليهودية ، أيفسد نكاحه أم لا ؟ قال : لم أسمع من مالك فيه شيئاً إلا أنه قال فى المرتد : تحرم عليه امرأته . فأنا أرى فى هذا أن تحرم عليه امرأته ، يهودية كانت أو نصرانية ^(١) .
التعليق : وهكذا نلاحظ الإمام مالكا والمالكية رحمهم الله ، يجعلون مفارقة الإسلام رافعة للعصمة والولاية ، وأنه لا لقاء بين مرتد ومسلمة ، وبين مرتدة ومسلم ، فكيف فى هذه الأزمنة التى اختلط فيها الحابل بالنابل ، لا يميز فيها بين المرتدين والمرتدات ، وبين المسلمين والمسلمات ، وما أكثر الأولين وأقل الآخرين ، وما أكثر ما نسمع عن عقود تعقد من كثير من المرتدين على المسلمات . والله المستعان .

(١) المدونة [٣١٦/٢] .

وإضافة إلى ما نقلناه عن مالك في المدونة من أحكام الزنادقة والمرتدين ، ننقل ما جاء في موطئه فيما رواه عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ قال : « من غيّر دينه فاضربوا عنقه » .

ومعنى قول النبي ﷺ فيما نرى والله أعلم : « من غيّر دينه فاضربوا عنقه » ، أنه من خرج من الإسلام إلى غيره ، مثل الزنادقة وأشباههم ، فإن أولئك إذا ظهر عليهم قتلوا ولم يستتابوا ؛ لأنه لا تُعرف توبتهم ، وأنهم كانوا يسرون الكفر ويعلمون الإسلام ، فلا أرى أن يستتاب هؤلاء ولا يقبل منهم قولهم .

وأما من خرج من الإسلام إلى غيره وأظهر ذلك فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، وذلك لو أن قوماً كانوا على ذلك رأيت أن يُدْعَوْا إلى الإسلام ويستتابوا ، فإن تابوا قُبِلَ ذلك منهم ، وإن لم يتوبوا قتلوا ، ولم يُغْنِ بذلك فيما نرى والله أعلم ، من خرج من اليهودية إلى النصرانية ، ولا من النصرانية إلى اليهودية ، ولا من يُغير دينه من أهل الأديان كلها إلا الإسلام ، فمن خرج من الإسلام إلى غيره ، وأظهر ذلك ، فذلك الذي عُني به . والله أعلم^(١) .

التعليق : هكذا نرى مالكا رحمه الله يؤصل العقيدة ، ويبيّن أحكامها للمسلمين ، ويبين أحكام الزنادقة ، وما أكثرهم في هذا الزمان ! وقد تكلمنا عنهم بما فيه الكفاية في المواقف السابقة ، والمهم أن مالكا رحمه الله يرى أن حرمة الإسلام ليست كغيره من الأديان المحرفة التي ثبت عليها أهل التحريف ، ولا يرى للزنديق إلا الإبادة والقتل ، فجزاه الله خيرا ، ويجب على المسلمين أن يكونوا مالكيين لا بالمفهوم المنتشر عند الناس ؛ أى التقليد المذهبي ، فهذا مرفوض عند مالك وغيره ، كما سيأتى إن شاء الله في موقف مالك من المُقلّدة ، ولكن مالكيون في نشر سنة رسول الله ﷺ وتوضيحها لهم ، ونشر وتوضيح العقيدة السلفية التي هي عقيدة الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين لهم بإحسان ، اللهم وفق أمة محمد لاتباع دينها ورسولها ، اللهم رُدْ كيد أعدائها عنها من أهل المشرق والمغرب .

(١) رواه مالك في الموطأ [٥٦٥/٢] وهو مرسل عند جميع الرواة ، ولكنه موصول عند البخارى عن ابن عباس برقم [٣٠١٧] .

○ وَرَوَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ قَالَ : قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَجُلٌ مِنْ قَبِيلِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فَسَأَلَهُ عَنِ النَّاسِ ، فَأَخْبَرَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عُمَرُ : هَلْ كَانَ فِيكُمْ مِنْ مُغَرَّبَةٍ خَيْرٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ .

قال : فما فعلتم به ؟

قال : قربناه فضربنا عنقه .

فقال عمر : أفلا حبستموه ثلاثاً وأطعتموه كل يوم رغيفاً ، واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله ؟! ثم قال عمر : اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَحْضَرْ ، وَلَمْ أَمْرَ ، وَلَمْ أَرْضَ ، إِذْ بُلِغْنِي ^(١) .

التعليق : هذا الأثر العظيم يدلنا دلالة واضحة على عناية أمير المؤمنين رضي الله عنه بالعقيدة الصحيحة ، ويرى أن من خالفها ينبغي أن يحبس ثلاثة أيام حتى يحاور وتزال عنه الشبهة إن كانت له شبهة ، فإن رجع عن شبهه وضلاله وزندقته وكفره قبلت توبته ، وإلا طُبِّقَ فيه حق القتل ، فرضى الله عنه وعن سلفنا الصالح ، ورحم إمامنا مالكا ؛ إذ ينقل لنا هذه المواقف العقدية المشرفة .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب الأقضية / ١٦] .

وجاء في الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية قال : قال ابن المنذر : أجمع عوام أهل العلم على أنَّ من سبَّ النبي ﷺ فحدُّه القتل ، ومن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق ، وهو مذهب الشافعي (١) .

وجاء فيه أيضًا : وقال ابن القاسم عن مالك : من سبَّ النبي ﷺ قُتل ولم يستتب . قال ابن القاسم : أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل كالزنديق ، وقد فرض الله توقيره .

وكذلك قال مالك في رواية المدنيين عنه : من سبَّ رسول الله ﷺ أو شتمه أو عابه أو تنقصه قُتل ، مسلمًا كان أو كافرًا ، ولا يستتاب . وروى ابن وهب عن مالك : من قال : إن رداء النبي ﷺ وسخ ، أراد به عيبه ، قُتل .

وروى بعض المالكية إجماع العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة . وذكر القاضي عياض أجوبة جماعة من فقهاء المالكية المشاهير بالقتل بلا استتابة في قضايا متعددة أفتى في كل قضية بعضهم :

منها : رجل سمع قومًا يتذاكرون صفة النبي ﷺ ، إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال : تريدون تعرفون صفته ؟ هذا المار في خلقه ولحيته .

منها : رجل قال : النبي ﷺ أسود

منها : رجل قيل له : لا وحق رسول الله . فقال : فعل الله برسول الله كذا وكذا . ثم قيل له : ما تقول يا عدو الله ؟! فقال : أشد من كلامه الأول ، ثم قال : إنما أردت برسول الله العقرب ، قالوا : لأن ادعاء التأويل في لفظ صراح لا يقبل ؛ لأنه امتهان ، وهو غير مُعزَّر لرسول الله ﷺ ، ولا موقر له فوجبت إباحة دمه .

(١) كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول [ص : ٥٧٥] .

منها : عشار قال أدواشك إلى النبي ، أو قال : إن سألت أو جهلت فقد سأل النبي وجهل .

منها : متفقه كان يستخف بالنبي ﷺ ويسميه في أثناء مناظرته اليتيم وختن حيضر ، ويزعم أن زهده لم يكن قصداً ، ولو قدر على الطيبات لأكلها ، وأشباه هذا .

قال : فهذا الباب كله مما عده العلماء سباً وتنقصاً يجب قتل قائله ، لم يختلف في ذلك متقدمهم ومتأخرهم ، وإن اختلفوا في سبب حكم قتله (١) .
وجاء فيه أيضاً : قال مالك وأحمد : كل من شتم النبي ﷺ أو تنقصه ، مسلماً كان أو كافراً ؛ فإنه يقتل ولا يستتاب . فنصاً على أن الكافر يجب قتله بتنقصه له كما يقتل بشتمه ، وكما يُقتل المسلم بذلك ، وكذلك أطلق سائر أصحابنا أن سب النبي ﷺ من الذمى يوجب القتل (٢) .

(١) كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول [ص : ٥٧٢] .

(٢) المصدر السابق [ص : ٥٥١] .

موقف الإمام مالك من بدعة القبرورية

وجاء فى المدونة : فى تجصيص القبر : قال : وقال مالك : أكره تجصيص القبور والبناء عليها ، وهذه الحجارة التى يبنى عليها .

ابن لهيعة عن بكر بن سودة قال : إن كانت القبور لتسوى بالأرض .
ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى زمعة البلوى صاحب النبى ﷺ ، أنه أمر أن يُصنع ذلك بقبره إذا مات .

قال سحنون : فهذه آثار فى تسويتها فكيف من يريد أن يبنى عليها (١) .

التعليق : هذه هى المدونة ، وهذا مالك وهذا مذهبه ، وهؤلاء أصحابه ، وهذه آثار صحابة رسول الله ﷺ ؛ تؤكد ما عليه مذهب مالك ، فكيف حال المسلمين فى مقابرهم فقراء وأغنياء ، علماء وجاهلين ؟! كلهم - إلا من شاء الله - يعمل على خلاف مذهب مالك ، ويقتدون بالنصارى والرهبان والهنود والروافض الباطنية أعداء الله ورسوله وأصحابه ؛ كلهم يرغب فى هذه الكارثة . ويشيدون القبور ويزخرفونها ويضعون لها القباب والتوابت والكساوى ، ويأتون لها بأحدث أنواع الفنون المعمارية ، وبأحدث أنواع التجصيص والتزويق ، ويأتون لها بأفضل أنواع التذهيب والتفضيض ، ويعلقون لها من أحدث أنواع المصاييح ، وهكذا تنفق عليها من الأموال ، ما المسلمون فى حاجة إليه ، فتنفق الملايين والبلايين على ميتة جيفة لا ندرى ما فعل الله بصاحبها ، فلعلها من أهل النار . وإن كانت من أهل الجنة ؛ فهذا الفعل من عبث العابثين ، وهو لمنهاج السلف من المخالفين ، ومآله إلى تجمع الشرك والمشركين ، يعبد فيه هؤلاء الموتى من دون الله ، والمسكين لا يدرى ، ويعتقد أن هذه مكرمة لأمه وأبيه ، وهى فى الحقيقة مفسدة لمجتمعهم ولدينه ، وأى مفسدة ، فإننا لله وإنا إليه راجعون على حالة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ونصوص أئمتها نابذة لأعمالها ، فما هذا العمل إلا مأوى للشرك والمشركين كما هو واقع فى حال العالمين .

(١) كتاب المدونة [ص : ١٨٩] .

جاء في المدخل لابن الحاج : وقال مالك في المبسوطة : وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر ، وإنما ذلك للغرباء ، فقيل له : إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه إلا يفعلون ذلك في اليوم مرة ، أو أكثر فيسلمون ويدعون ساعة ؟ فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره ذلك إلا لمن جاء من سفر أو أراد . قال ابن القاسم : ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوا أتوا القبر فسلموا . قال : وذلك ذأبي^(١) .

التعليق : انظر حماك الله من أعمال الشرك والمشركين ما يقوله الإمام مالك في هذه الفتوى التي استفتي فيها وبين آداب الزيارة للنبي ﷺ في قبره ، وأن تكرار الزيارة مرة ومرتين في اليوم لم يكن من عمل السلف الصالح ، وأن السلام على قبره ﷺ هو للغرباء القادمين من الخارج ، وكأن مالكاً رحمه الله يشير إلى الحديث الذي رواه في موطئه عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « اللّهُمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعْبَدُ ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »^(٢) . ولا يعيننا أن نخوض في الكلام على طرق الحديث صحةً وضعفاً ، فمالك احتج به في موطئه ولا يحتج إلا بما يراه صالحاً للحجية ، والذي يهمنا من هذه المواقف ما ذهب إليه مالك من أقوال وأفعال في مواقفه العقدية .

فمالك رحمه الله يرى أن الزيارة الشرعية للنبي ﷺ من الغرباء بالسلام عليه وعلى صاحبيه ، وبالدعاء باستقبال القبلة دون توجه إلى القبر ، فضلاً عما يفعله الجهلة والمشعوذون والمنحرفون الذين يرون أن التمسح بشباييك النحاس وجدران الحجرة وتقيلها وتمريغ الوجوه والحدود ، والاستغاثاة بالنبي والاستعانة به وطلب الحاجات

(١) كتاب المدخل [١٦٢/١] .

(٢) رواه مالك في الموطأ [كتاب قصر الصلاة / ٨٥] وهو مرسل ، وقد روى موصولاً من حديث أبي هريرة عند أحمد [٢٤٦/٢] .

والأرزاق والأولاد وتفريج الكربات ، مما كان يحاربه ﷺ ويقاتل عليه ويأمر بإفراده لله تعالى ، فالحجر الأسود هو المُقْبَلُ وحده ، لا غيره من أحجار الدنيا وترابها ، والاستغاثة بالله وحده ، ودعاؤه في السراء والضراء ، لا يُصرف شيء من ذلك إلى غيره ؛ نبيًا كان أو رسولاً ، فالسلام على الرسول ﷺ وعلى صاحبيه وصلاة ركعتين في المسجد النبوي هي الزيارة الشرعية التي بينها الإمام مالك في هذا الموقف وغيره .
وأما لو رأى مالك وأصحابه وأتباعه ما يراه عباد القبور بمقبورهم ، من تقبيل لجدرانهم ، وتعفير وجوههم بترابهم ، واستغاثة بهم ، وطلب الحاجات منهم ، وعقد مواسم أسبوعية وسنوية ، وتقديم القربان والهدايا ، وصلوات في حرم المقبور ، ولياذ وعبادة بحرم المقبور ، وغير ذلك من الأعمال والأقوال ، مما لم يخطر على بال أهل الجاهلية المشركين الذين كانوا يعبدون أصنام الحجارة وغيرها ، فماذا سيقول الإمام مالك في هذه الأحوال الشيطانية التي اخترعها إبليس وأعوانه من شياطين الإنس ؟ فحالة العالم الإسلامي بشرقه وغربه حالة من لم ينزل فيه قرآن ، ولا بُعث فيه نبي ، ولا تقدم فيه سلف صالح ، مثل الإمام مالك الذي نسجل له هذه المواقف وقلوبنا تتفطر لما لم نجد ما تهدف إليه هذه المواقف السلفية ، ولكن الخير في شباب أمة محمد ﷺ التي ستتلقى السنة بصدورها الرحبة وقلوبها الواعية ، وتنزل النصوص مكانتها وتعطي للسنة حقها وللكتاب درجته ، فهو حاكمها وحكمها ، وهو إمامها وقودتها ، هذا ظننا في شبابنا وفي أمة نبينا ، نرجو الله تعالى أن يوفقهم وأن يلهمهم رشدهم .

وجاء فى الاعتصام : قال ابن وضاح : وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ ما عدا قباء وحده . وقد كان مالك يكره كل بدعة وإن كانت فى خير .

وجميع هذا ذريعة لئلا يتخذ سنة ما ليس بسنة ، أو يعد مشروعاً ما ليس معروفاً . وقد كان مالك يكره المجيء إلى بيت المقدس ؛ خيفة أن يتخذ ذلك سنة ، وقد كان يكره مجيء قبور الشهداء ، ويكره مجيء قباء ، خوفاً من ذلك ، مع ما جاء فى الآثار من الترغيب فيه ، ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه .

وقال ابن كنانة وأشهب : سمعنا مالكا يقول : لما أتى سعد بن أبي وقاص قال : وددت أن رجلى تكشّرت وأنى لم أفعل .

وسئل ابن كنانة عن الآثار التى تركوا بالمدينة ، فقال : أثبت ما فى ذلك عندنا قباء ، إلا أن مالكا كان يكره مجيئها خوفاً من أن يتخذ سنة (١) .

التعليق : ماذا يقول عبدة الآثار على اختلاف أنواعها ، من مبان وأقواس ومنارات وحجارات وتماثيل وبقايا للأمم والمحبون لها والمنفقون عليها من الأموال الطائلة التى لا تقدر بقدر ، وذلك بزعمهم أنها من مقومات البلاد ومن الآثار الوطنية ، ولكن لا يدرى المساكين أن ذلك ربما سينقلب إلى عبادات من دون الله كما وقع لكثير من الأمم ، وهو واقعنا الآن فى كثير من المزارات المخترعة وغير المخترعة التى يزعم عبادها أن فيها فلاناً وفلاناً ، وكثيراً ما فحصت هذه المزارات فوجدت فيها عظام الكلاب والحمير وجثث اليهود والنصارى ، وهناك مزارات أخرى خالية من كل شيء كما هو واقع فى مزار الحسين فى مصر ، فلا حسين ولا جسده ولكن المشركين لا يعقلون !! وأما المغارات فى الجبال والأودية والسهول فنماذجها كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فالعناية بالآثار وترميمها وتخليدها هو من عمل المشركين البطالين الذين لا عمل لهم ولا دين .

(١) كتاب الاعتصام [٣٤٧/١] .

وأما الآثار التى ينبغى العناية بها فهى ميراث النبوة من كتاب وسنة وأقوال وأفعال
للسلف الصالح ، فهذه هى التى تستحق العناية ، وما فيه خدمة للأمة فى دينها
ودنياها ، وما يخدم أهدافها ، وأما تحنيط الجثث وإيقافها فى أماكن معينة ، والمحافظة
على آثارها من ذهب وفضة وصناديق وأوانى وغير ذلك ، فهو من عمل أهل الجاهلية ،
وهذا هو الذى يحاربه النص المنقول عن الإمام مالك رحمه الله ، لأن الإمام مالكاً
يعرف نتيجة هذا الأمر الخطير ، وقد كان كما توقع وأشرت إليه فى هذه الكلمة
القصيرة .

وجاء في المدونة : قلت : أرأيت من ارتد عن الإسلام يسقط عنه ما كان قد وجب عليه من النذور ، وما ضيَّع من الفرائض الواجبة التي وجب عليه قضاؤها ، أو مرض في رمضان فوجب عليه قضاؤه ، أو الحدود التي لله أو للناس ، إذا رجع إلى الإسلام ، أيسقط عنه شيء من هذه الأشياء ؟ قال : نعم ، يسقط عنه كل ما وجب له عليه ، إلا الحدود والفريضة والسرقة وحقوق الناس ، وما لو كان عمله كافراً في حال كفره ثم أسلم لم يوضع ، ومما يبين لك ذلك أنه يوضع عنه ما وضع من الفرائض التي هي لله ، أنه لو حج حجة الإسلام قبل ارتداده ثم ارتد ثم رجع إلى الإسلام ، أن عليه أن يحج بعد رجوعه إلى الإسلام حجة أخرى ؛ حجة الإسلام ، قال مالك : لأن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] فحججه من عمله ، وعليه حجة أخرى ، فهذا يخبرك أن كل ما فعل من الفرائض قبل ارتداده لم ينفعه ، فكذلك ما ضيع قبل ارتداده ، ولا يكون عليه شيء وهو ساقط عنه .

قلت : ويأتى القتل على القصاص الذى هو للناس ؟ قال : نعم ، قلت : وتحفظ هذا عن مالك ؟ قال : نعم .

قلت : أرأيت الرجل يوصى بوصايا ثم يرتد ، فيقتل على رده ، أ يكون لأهل الوصايا شيء أم لا ؟ قال مالك : لا يرثه ورثته ، فأرى أنه لا شيء لأهل الوصايا أيضاً ، ولا تجوز وصية رجل إلا في ماله ، وهذا المال ليس هو للمرتد ، وقد صار لجماعة المسلمين ، ووصاياهم قبل الردة بمنزلة وصيته بعد الردة ، ألا ترى أنه لو أوصى بعد الردة بوصية لم تجز وصيته ، وماله محجوب عنه إذا ارتد .

قلت : أرأيت إن مرض فارتد ، فقتل على رده ، فقامت امرأته فقالت : قرِّ بميراثه منى . قال : بلغنى عن مالك أنه قال : لا يتهم ههنا أحد أن يرتد عن الإسلام في مرضه لثلاث يرتد ورثته وميراثه للمسلمين^(١) .

(١) المدونة [٣١٨/٢] .

وجاء فى غاية الأمانى فى الرد على النبهانى : أما مالك ، فقد قال القاضى عياض :
وقد قال مالك فى المبسوط : لا أرى أن يقف عند قبر النبى ﷺ يدعو ويسلم ،
ولكن يسلم ويمضى . وهذا الذى نقله القاضى عياض ذكره فى المبسوط قال :
وقال مالك : لا أرى أن يقف الرجل عند قبر النبى ﷺ يدعو ولكن يسلم على
النبى ﷺ وعلى أبى بكر وعمر ثم يمضى ، وقال مالك : ذلك لأن هذا المنقول عن
ابن عمر أنه كان يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ،
السلام عليك يا أبتى ويا أبتاه ثم ينصرف ولا يقف يدعو ، فرأى مالك ذلك من
البدع ، قال : وقال مالك فى رواية ابن وهب : إذا سلم على النبى ﷺ ودعا يقف
ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويسلم لا يمس القبر بيده (١) .

التعليق : هذا الموقف فيه آداب الزيارة لقبر النبى ﷺ كاملة ، وقد تقدم الكلام عليها ،
ويضاف إلى ذلك قوله : ولا يمس القبر بيده . فالإمام مالك يقطع الذرائع على الشرك
من لمس وتقبيل وتعفير للخدود والوجوه ، الذى يفعله كثير من الجهلة بقبر النبى ﷺ ،
وبغيره من القبور كما تقدم ، فكيف يجيزه الإمام مالك وهو إمام من أئمة الهدى ،
وهذا عمل أئمة الضلال والجهل والتقليد ، وهو الذى يروى رضى الله عنه الحديث
المعروف عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يطوف بالبيت للركن الأسود : إنما
أنت حجر ، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك ، ثم قبله (٢) .

فهذه هى قدوة الإمام مالك من أمير المؤمنين الذى يصرح بأن الحجر لا ينبغى أن يقبل ،
ولكن هذا الحجر له خصوصيته ؛ لأن إمام المتقين قبله ، ولا شك أن هذا تعبد لله ،
أما ما سواها من الحجارة والتراب والجدران والشبابيك والتوايت وغير ذلك ، فتقبيله
كالحجر الأسود ؛ شرك فى العبادات ، وهذا العمل من عمل المشركين .

(١) غاية الأمانى [١٧٨/١] .

(٢) التمهيد لابن عبد البر [٢٥٥/٢٢] ، والحديث أخرجه البخارى [١٥٩٧] ، ومسلم [١٢٧٠] .

موقف الإمام مالك من السحر والسحرة

الواقع أن السحر مصيبة قديمة ، اتخذها الفراعنة فى قديم الزمان وحديثه لمحاربة علم النبوة ، وفى مقدمته العقيدة . وما ذكره الله تعالى عن سحرة فرعون قبل توبتهم أمر لا يخفى على مسلم يقرأ كتاب الله عز وجل ، وقد ذكر الله السحر فى القرآن فى آية عظيمة من قرأها لا يمكن أن يهادن السحر ولا السحرة ، وإن كان حاكما مسلما فلا يسمح بوجود هذا السرطان الخبيث فى رعيته ، والعلماء مهمتهم دفع هذا الخبث وأمثاله مما لحق بعقيدة الإسلام الصافية : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَئِنَّكَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

والإمام مالك رحمه الله من أشد الناس محاربة لهذا الأصل الفاسد الذى استشار واستطار شره فى القديم والحديث ، وكل من أراد حيلة نسب نفسه إليه وزعم أنه ساحر ، وأتاه العوام والجهال من كل قطر ومصر ؛ طالبين منه أن يفعل لهم سحرا ، وهذا مع الأسف فى المجتمعات الإسلامية التى تدعى الوعى والتقدم .

جاء فى موطأ مالك : عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد ، أنه بلغه أن حفصة زوج النبى ﷺ قتلت جارية لها سحرتها ، وقد كانت دبرتها ، فأمرت بها فقتلت . قال مالك : الساحر الذى يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيره ، هو مثل الذى قال الله تبارك وتعالى فى كتابه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه (١) .

وجاء فى تيسير العزيز الحميد : واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا . فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد (٢) .

التعليق : هكذا مذهب مالك رحمه الله بَيِّنُ : القتل والتكفير للساحر ، وهكذا يكون الحكم على كل المشعوذين الذين يَدْعُونَ لأنفسهم علم الغيب الذى اختص الله به ، ويدعى لنفسه التصرف فى الأكوان والذوات وتغيير القلوب وإحداث البغض والكراهية وإماتة الناس وإحيائهم وتصحيحهم وإمراضهم ، بل يَدْعُونَ قلب الذوات من بشر إلى كلب أو خنزير أو ماء إلى ذهب أو فضة ، وما إلى ذلك من الدعاوى الطويلة العريضة ، ولهذا قارنه النبى ﷺ بالشرك كما جاء فى الحديث الصحيح ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (٣) .

وصح عن ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ قتل الساحر ، وهم عمر أمير المؤمنين ، وحفصة أم المؤمنين ، وجندب الصحابى الجليل ، كل هذا ومع ذلك تجد هذه الظاهرة منتشرة انتشاراً فاحشاً فى المجتمعات الإسلامية .

(١) رواه مالك فى الموطأ [٢/٦٦٣] .

(٢) تيسير العزيز الحميد [ص : ٣٩٣] .

(٣) أخرجه البخارى [٢٧٦٦] ، ومسلم [٨٩] .

ما جاء فى الموطأ من الأخبار عن : الرقى والتمايم

الإمام مالك رحمه الله اشتهر من بين الأئمة فى سدّ الذرائع التى يُتذرّع بها إلى كل مكروه ، وكان أهل الجاهلية يعلقون القلائد والأوتار على بهائمهم ، ويعتقدون أنها تدفع المرض وتدفع البلاء ، وجاء الإسلام فأبدلنا الله بذلك كتابه وأسماءه وصفاته ، فزُفِّية المسلم قراءة كتاب الله والأدعية الثابتة عن رسول الله وما سوى ذلك لم يصح عن رسول الله ﷺ من وجه من الوجوه ، فما يذكر فى بعض الكتب من خلاف فى تعليق بعض الآيات القرآنية أو بعض الأدعية المأثورة لا معنى له ، فقد استفاضت رقى رسول الله ﷺ ورقية جبريل له ، والأدعية الكثيرة التى علمها فى الرقى ، فلماذا العدول عن هذا الشئ الصحيح والبيضاء الواضحة إلى ما يمكن أن يدخل به المبتدعة والسحرة الذين يكتبون الكثير من الرموز والخطوط فى كثير من الحروز وكثير من الأدعية الشركية ؟ والاستغاثات بالشياطين والجن ، وبكثير من الأموات الأحياء الغائبين ، وهذا شرك مجمع عليه لا يشك فيه إلا مشرك ، فالرجوع إلى السنة والرجوع إلى مذهب الإمام مالك فى سدّ الذرائع هو الواجب والصواب ، فالعقيدة فى القلائد والتمايم والحلق والخرق والنحاس الذى يربط فى العنق والأيدى ، من اعتقد فيه نفعا أو ضرا فلا شك أنه مشرك ، فالنفع والضرر بيد الله ، فالضراعة له بالقلوب والألسنة وبكتابه وبأدعية نبيه ﷺ ، والاستقامة على دينه ، وبالاتباع عن مأوى الشياطين والفسقة وكثرة الصدقات والتلاوة والذكر ، هكذا كانت رقية السلف الصالح رضى الله عنهم وأرضاهم ، وأما ما يُشاهد فى المجتمعات المتخلفة علميًا وعقليًا واقتصاديًا واجتماعيًا فتلجأ إلى مثل هذه الأمور التى لا معنى لها .

روى مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن عمر ، وابن حزم عن عباد بن تميم : أن
أبا بشير الأنصارى أخبره أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره قال :
فأرسل رسول الله ﷺ رسولا - قال عبد الله بن أبي بكر : حسبت أنه قال : والناس
في مَقِيلِهِمْ - : « لا تَبْقِيَنَّ في رِقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةً من وَتَرٍ ، أو قِلَادَةً إِلَّا قَطَعْتَ » ، قال
مالك : أرى ذلك من العين (١) .

(١) التمهيد [١٥٩/١٧] . والحديث أخرجه البخارى [٣٠٠٥] ، ومسلم [٢١١٥] .

رواية الإمام مالك لأحاديث التصاوير

روى عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، أن رافع بن إسحاق مولى الشفاء أخبره قالت : دخلتُ أنا وعبد الله بن أبي طلحة على أبي سعيد الخدري نعوذه ، فقال لنا أبو سعيد : أخبرنا رسول الله ﷺ أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تماثيل أو تصاوير . يشك إسحاق لا يدرى أيتهما ، قال أبو سعيد الخدري (١) .

وقد جاء عن النبي ﷺ في هذا المعنى أحاديث كثيرة ، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » (٢) .

ومنها : ما أخرجاه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » (٣) .

ومنها : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار يُجعل له بكل صورة صورها نفس ، يعذب بها في جهنم » (٤) .

ومنها : عن ابن عباس أيضًا أن رسول الله ﷺ يقول : « من صور صورة في الدنيا كُلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » (٥) .

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [٣٠٠/٢] . والحديث أخرجه البخاري [٣٢٢٥] .

(٢) أخرجه البخاري [٥٩٣٥] ، ومسلم [٢١١١] .

(٣) أخرجه مسلم [١٦٦٨] ، وأبو داود [٣٩٥٨] ، والترمذي [١٣٦٤] ، وابن ماجه [٢٣٤٥] .

(٤) أخرجه البخاري [٢٢٢٥] ، ومسلم [٢١١٠] .

(٥) المصدر السابق .

ومنها : عند مسلم عن أبي الهياج قال : قال لى على : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ : ألا تدع صورة إلا طمسها ، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته (١) .

هكذا تتوارد الأحاديث عن النبي ﷺ بصيغ مختلفة فى تحريم الصور ، وأن أصحابها أشد الناس عذابًا يوم القيامة ، وعلل النبي ﷺ ذلك ؛ بأنهم يتشبهون بالله فيما اختص به ، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْآمَرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وبين الله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى أنهم يخلقون كخلقه ، ولهذا يمتحنهم يوم القيامة ويأمرهم بأن يخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة ، وليسوا بقادرين على ذلك ، وأن رسول الله ﷺ بعث صهره وابن عمه إلى طمس كل صورة وجدها ، وإلى تسوية كل قبر مشرف ، فالأحاديث واضحة فى المنع من التصوير . وإن فاعل ذلك متشبه بالله ومعتد عليه فيما اختص به كما تقدم ، فلهذا أدخل الإمام مالك أحاديث تحريم الصور ، ولا شك أن هذا من العقيدة ، فعقيدة المسلم يجب أن تكون نقية من كل شائبة شركية ظاهرة وباطنة ، ولا فرق فى هذا الباب عندى بين الصور المجسمة وغير المجسمة ، فالكل من باب واحد ، والنصوص لم تفرق . وخلاف العلماء فى المسألة لا يعطى المشروعية ، فالشرع ما صح عن الله وعن رسوله ﷺ ، وأهل هذا الزمان لم ينقادوا إلى شرعه وإلى حكمه وإلى تطبيقه ، فرادى وجماعات ، ويستثنى من هذا ما كان فيه مصلحة للمسلم ، كالصور الطبية وغيرها ، مما يحتاج إليه ويضطر إليه ، وما سوى ذلك فهو داخل فى المضاهاة كما أخبر سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين ﷺ .

(١) أخرجه مسلم [٩٦٩] ، والترمذى [١٠٤٩] ، وأبو داود [٣٢١٨] .

موقف الإمام مالك من الشؤم والتطير

لا شك أن الإمام مالكا رحمه الله من أكمل الناس عقيدة ، ودعوته في موطنه إلى تصحيح العقيدة واضحة ؛ ومن ذلك ما رواه في موطنه :
عن ابن شهاب عن سالم وحمزة ابني عبد الله بن عمر عن أبيهما أن رسول الله ﷺ قال : « الشؤم في الدار والمرأة والفرس »^(١) .

إن عقيدة العرب كانت مبنية على أصل التطير والتشاؤم ، بل وعقيدة من قبلهم أيضا كما حكى الله عن آل فرعون لما تطيروا بموسى وأصحابه ، كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ (١٢٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيِّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف] .

وجاء الإسلام بمحاربة هذا الأصل الشركي الكبير الذي ابتدعه من ابتدعه ، والتطير مصدر : تطير يتطير ، والطيرة أيضا بكسر الطاء وفتح الياء ، وقد سكن مصدر ، تطير يقال : تطير طيرة ، وتخير خيرة . ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما ، وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما ، وكان ذلك يصددهم عن مقاصدهم ، فإذا أرادوا أمرا ، فإن رأوا الطير مثلا طار يئمة تيمنوا به ، وإن طار يسرة تشاءموا به ، فنفاه الشرع وأبطله ، ونهى عنه ، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر . قال المدائني : سألت روبة ابن العجاج : ما السانح ؟ قال : ما ولأك ميامنه ، قلت : فما البارح ؟ قال : ما ولأك مياسره . قال : والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح ، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب الاستعذان/٢٢] ، والبخاري [٥٧٧٢] ، ومسلم [٢٢٢٥] .

واعلم أن من كان مُعْتَنِيًا به قَابِلًا له ؛ كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره ،
وتفتحت له أبواب الوسوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ، ويفتح له الشيطان فيها من
المناسبات ، والقرينة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه ، وينكد عليه عيشه ،
فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسوله ﷺ ، وأن يمضي لشأنه ،
لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك .

ومع الأسف ، فبعد مجيء الإسلام ومحاربته للشرك وسبله ووسائله توسع الناس
في باب الطيرة ، فهذا يتطير بالألوان ، فمن رأى أسود في بداية صباحه تطير به
وعلم بأن يومه فيه نحس ، وهذا يتطير بخُلُقَة معينة ، كالأعور والأعمى والأجذم
والأقرع ، وهذا يتطير بطيور معينة ؛ كالبومة وأنواع من الطيور في كل مكان
بحسبه ، فمن رأى بومة على سطح بيته علم بها أن البلاء سينزل به من موت
أو غيره ، وهكذا يتطير بأصواتها حتى إنه حُكِيَ أن عكرمة قال : كنا جلوسًا عند
ابن عباس فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير . فقال ابن عباس :
لا خير ولا شر . وخرج طاووس مع صاحب له في سفر ، فصاح غراب فقال
الرجل : خير . فقال : طاووس : وأى خير عند هذا ؟! لا تصحبنى . وهذا باب
واسع يطول استقراؤه ، وكل قوم لهم ما يتطيرون به ، وعلاج ذلك هو العلم النافع
الذى يدعو إلى نبذ هذه الأصول الشركية التي خلفتها الجاهلية .

وأما ما ذكر في هذا الحديث من الشؤم في هذه الثلاثة ، فقد أنكرت عائشة
رضي الله عنها ذلك وقالت : كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ما حدث
بها ، ولكن رسول الله ﷺ كان يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة في
المرأة والدار والدابة ، قرأت عائشة : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ^(١) .

(١) رواه أحمد في المسند [١٥٠/٦، ٢٤٦، ٢٤٠] ، والحاكم [٧٤٩/٢] وقال : صحيح الإسناد ،
وابن خزيمة كما في الفتح [١٥١/٦] .

وقالت طائفة أخرى : لم يجزم النبي ﷺ الشؤم في هذه الثلاثة ، بل علقه على الشرط كما ثبت ذلك في الصحيح ، ولا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد بمفردها ، قالوا : والراوى غلط .

قلت : لا يصح تغليطه مع إمكان حمله على الصحة ، ورواية تعليقه بالشرط لا تدل على نفى رواية الجزم .

وقالت طائفة أخرى : بالشؤم بهذه الثلاثة ، إنما يلحق من تشاءم بها ، فيكون شؤمها عليه ، ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير ؛ لم تكن مشؤومة عليه . قالوا : ويدل عليه حديث أنس : « الطيرة على من تطير »^(١) ، وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببًا لحلول المكروه ، كما يجعل الثقة به والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يُدفع بها الشر .

وقال ابن القيم : إخباره بالشؤم في هذه الثلاثة ليست فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله ، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق أعيانًا ، منها مشؤومة على من قاربها وسكنها ، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر ، وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا ، يريان الخير على وجهه ، ويعطى غيرهما ولدًا مشؤومًا يريان الشر على وجهه ، وكذلك ما يعطاه العبد ولاية أو غيرها ، فكذلك الدار والمرأة والفرس ، والله سبحانه خالق الخير والشر ، والشعود والنحوس ، فيخلق بعض هذه الأعيان سعدًا مباركة ، ويفضى بسعادة من قاربها ، وحصول اليقين والبركة له ، ويخلق بعضها نحوسًا ينحس بها من قاربها ، وكل ذلك بقضائه وقدره ، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة ، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ، ولذذ بها من قاربها من الناس ، وخلق ضدها

(١) رواه ابن حبان في صحيحه [٦١٢٣] ، والطحاوى في شرح معاني الآثار [٣١٤/٤] .

وجعلها سبباً لآلام من قاربها من الناس . والفرق بين هذين النوعين مُدرك بالحس ، فكذلك فى الديار والنساء والخيول ، فهذا لون والطيرة الشركية لون^(١) . انتهى . ولهذا يشرع لمن استفاء زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله من خيرها وخير ما جبلت عليه ، ويستعيذ من شرها وشر ما جبلت عليه ، وكذلك ينبغي لمن سكن داراً أن يفعل ذلك . ولكن يبقى على هذا أن يقال : هذا جارٍ فى كل مشؤوم ، فما وجه خصوصية هذه الثلاثة بالذِّكر ؟ وجوابه أن أكثر ما يقع التطير فى هذه الثلاثة ؛ فخصت بالذكر ؛ لذلك ذكره فى شرح السنن .

ومنها ما روى مالك عن يحيى بن سعيد قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، دار سكنناها ، والعُدُدُ كثير والمال وافر ، فقلّ العدد وذهب المال . فقال النبي ﷺ : دعوها ذميمة . رواه أبو داود عن أنس بن حوّه^(٢) .

وجوابه أن هذا ليس من الطيرة المنهى عنها ، بل أمرهم بالانتقال ؛ لأنهم استقلوها واستوحشوا منها ؛ لما لحقهم فيها ليتعجلوا الراحة مما دخلهم من الجزاء ؛ لأن الله قد جعل فى غرائز الناس استئصال ما لهم الشرُّ فيه ، وإن كان لا سبب له فى ذلك ، وحجب من جرى على يديه الخير لهم ، وإن لم يردهم به ، ولأن مقامهم فيها قد يقودهم إلى الطيرة فيوقعهم ذلك فى الشرك ، والشر الذى يلحق المتطير بسبب طيرته ، وهذا بمنزلة الخارج من الدار التى تتوالى عليهم فيها المصائب والحن ، وتعذر الأرزاق مع سلامة التوحيد فى الرحلة ؛ لئلا يترك كل من ضاق عليه رزقٌ فى بلد أو قلة فائدة صناعته أو تجارته فيها ، ألا ينتقل منها إلى غيرها . وهذا باب واسع وردت فيه أدلة ونصوص كثيرة وليس هذا محل بسطها واستقراءها ؛ لأن الذى يهمنا من هذا الإشارة إلى أن مالكاً رحمه الله أدخل فى موطنه كثيراً من أحاديث العقيدة على اختلاف تنوعها ، فرحمة الله عليه وعلى إخوانه المسلمين .

(١) مفتاح دار السعادة [٣/٣٤٢] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [الاستدكان/٢٣] بسند مرسل ، وأبو داود [٣٩٢٤] .

موقف الإمام مالك ممن يستسقى بالنجوم

لا شك أن الإمام رضى الله عنه كان يحارب الشرك صغيره وكبيره ، ولا يرضى بشجرة منه ، وهو يعرف خطره على أمة محمد ﷺ ؛ فلهذا يسوق لنا فى موطنه ما يبعدنا عن الشرك وفروعه .

وينبغى أن يُعلم أن الاستسقاء ، أى : نسبة الشُّقيا ، ومجىء المطر إلى النجوم والأنواء ؛ وهو نوعان كما جاء فى تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد : أحدهما : أن يعتقد أن المُنزل للمطر هو النجم ، فهذا كفر ظاهر ، إذ لا خالق إلا الله ، وما كان المشركون هكذا ، بل كانوا يعلمون أن الله هو المُنزل للمطر ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت : ٦٣] .

ومن اعتقد أن النجم يُنزل المطر فهو كافر .

الثانى : أن ينسب إنزال المطر إلى النجم ، مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفاعل لذلك ، المنزل له ، إلا أنه سبحانه وتعالى أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم ، فحكى ابن مفلح خلافاً فى مذهب أحمد فى تحريمه وكراهته ، وصرح أصحاب الشافعى بجوازه ، والصحيح أنه محرم ؛ لأنه من الشرك الخفى ، وهو الذى أراده النبى ﷺ وأخبر أنه من أمر الجاهلية ونفاه وأبطله ، وهو الذى كان يزعم المشركون ، ولم يزل موجوداً فى هذه الأمة إلى اليوم . وأيضاً فإن هذا من النبى ﷺ حماية لجناب التوحيد وسد لذرائع الشرك ولو بالعبادات الموهمة التى لا يقصدها الإنسان ، كما قال لرجل قال له : ما شاء الله وشئت . قال : « أجعلتنى لله نذّاً بل ما شاء الله وحده » (١) .

(١) كتاب تيسير العزيز الحميد [ص : ٤٥٤] . والحديث رواه أحمد [٢١٤/١] ، والبخارى فى الأدب المفرد [٧٨٣] ، وابن ماجه [٢١١٧] .

ولإليك ما رواه مالك في هذا الموضوع :

عن صالح بن كيسان عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد ابن خالد الجهني أنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ؛ فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » (١) .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب الاستسقاء/٤] .

النهي عن سب الدهر

روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« لا يقل أحدكم : يا خيبة الدهر ، فإن الله هو الدهر »^(١) .

التعليق : هذا من النصوص التي تثبت عقيدتنا وتطرد عنا كل ما يفسدها . وحديث
سب الدهر يشير إلى قضية قديمة جاهلية ، ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله :
﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الحاقة : ٢٤] . قال
الحافظ ابن كثير في تفسيره : يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من
مشركي العرب في إنكار المعاد ، ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ ، أي :
ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون ، وما ثم معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله
مشركون العرب المنكرون للمعاد ويقولوه الفلاسفة الإلهيون منهم ، وهم ينكرون البداءة
والرجعة . وتقولوه الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع ، المعتقدون أن في كل ستة
وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات
لا تتناهى ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ، ولهذا قالوا : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ ،
ويسبون الدهر . فقال الله عز وجل : « يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي
الخير أقلب الليل والنهار »^(٢) .

فإن قلت : فأين مطابقة الآية للحديث إذا كانت خبراً عن الدهرية المشركين ؟ قيل :
المطابقة ظاهرة ؛ لأن من سب الدهر فإنما شاركهم في سبه ، وإن لم يشاركهم في
الاعتقاد . أفاده في تيسير العزيز الحميد .

قال الشافعي في تأويله والله أعلم : إن العرب كان من شأنها أن تدم الدهر وتسبه عند
المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك ، فيقولون : إنما يهلكنا

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب الكلام/٣] ، والبخاري [٦١٨١] ، ومسلم [٢٢٤٦] .

(٢) تفسير ابن كثير [١٤١/٤] والحديث أخرجه البخاري [٤٨٢٦] ، ومسلم [٢٢٤٦] .

.....
الدهر وهو الليل والنهار ، ويقولون : أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم ، فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء ، فيذمون الدهر بأنه الذى يفتنيهم ويفعل بهم .

فقال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا الدهر » ، على أنه الذى يفتنيكم والذى يفعل بكم هذه الأشياء ؛ فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء ، فإنما تسبون الله تبارك وتعالى ، فإنه فاعل هذه الأشياء . انتهى .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب شارح كتاب جده ؛ كتاب التوحيد ، وهو من أنفس الكتب التى كتبت فى العقيدة السلفية الحققة ، قلت : والظاهر أن المشركين نوعان :

أحدهما : من يعتقد أن الدهر هو الفاعل فيسبه ، لذلك فهو لاء هم الدهرية .
والثانى : من يعتقد أن المدير للأمور هو الله وحده لا شريك له ، ولكن سب الدهر لما يجرى عليهم فيه من المصائب والحوادث ، فيضيفون ذلك إليه ، من إضافة الشيء إلى محله ، لا لأنه عندهم فاعل ذلك .

والحديث صريح فى النهى عن سب الدهر مطلقاً سواء اعتقد أنه فاعل ذلك أو لم يعتقد ذلك ، كما يقع كثيراً ممن يعتقد الإسلام ، كقول ابن المعتز :

يا دَهْرُ ويحك ما أبقيت لى أحداً وأنت والدُ سوءٍ تأكلُ الولداً
وقول أبى الطيب :

قُبْحاً لوجهك يا زمانُ إنه وَجْهٌ له من كل قُبْحٍ بُرْعُ
وقول الطرقي :

إن تُبتلى بلسانِ الناسِ يرفعهم عليك دَهْرٌ لأهلِ الفضلِ قد خانا
وقول الحريري :

ولا تأمنِ الدهرَ الخدوعَ ومكره فكم خاملٍ أخنى عليه ونابه
ونحو ذلك كثير ، وكل هذا داخل فى الحديث ، قال ابن القيم : وفى هذا ثلاث مفاصد عظيمة :

أحدها : سبه من ليس أهلاً للسب ، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره متذلل لتسخيره ، فسابه أولى بالذم والسب منه .

والثانية : أن سبه متضمن للشرك ، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع ، وأنه مع ذلك ظالم قد ظلم من لا يستحق العطاء ، ورفع من لا يستحق الرفعة ، وحرم من لا يستحق الحرمان ، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة ، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جداً ، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقييحه .

والثالثة : أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السموات والأرض ، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه ، وفي حقيقة الأمر فزب الدهر هو المعطى المانع ، الخافض الرافع ، المعز المذل ، والدهر ليس له من الأمر شيء ، فمسيبتهم الدهر مسبة لله عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى ، فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما ، إما مسبة الله أو الشرك به ، فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله ؛ فهو مُشرك ، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذى فعل ذلك ، وهو يسب من فعله ؛ فهو يسب الله تعالى^(١) . انتهى .

وأشار ابن أبي جمرة : إلى أن النهى عن سب الدهر تنبيه بالأعلى على الأدنى ، وأن فيه إشارة إلى ترك سب كل شيء مطلق ، إلا ما أذن الشرع فيه ؛ لأن العلة واحدة^(٢) . قلت : هكذا نتلقى التريية العقدية من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فننسب الأمور إلى أهلها ولا نتعسف ولا نحرف أمراً فننسبه إلى من ليس له به علاقة ، فالليل والنهار ، والشمس والقمر ، والسموات والأرض ، أتوا طائعين لله تحت أمره وتسخيره والخير كله بيده والشر ليس إليه ، فمن نسب للدهر خيراً أو شراً فقد ظلم الله في حقه واتهم من ليست له جريمة بذنب عظيم ، وهذه العقيدة الباطلة

(١) تيسير العزيز الحميد [ص : ٦١٠] .

(٢) فتح البارى [٢٠٦/١٢] .

مع الأسف قد تسربت إلى المسلمين فى كل زمان ومكان ، فتجدهم يكثرون من شتم الليالى والنهار ، ومن سب الساعات والصباح والمساء ، واتهام الأزمان بالنحس والعقاب والموت والكوارث والمصائب ، ويكثرون من سب الريح والحر والبرد وغير ذلك ، بل أدى بهم الأمر إلى تحين مواسم معينة زمنية إلى فعل الكثير من المناسبات ، بزعم أن فى هذا اليوم سعدًا وفى الآخر نحسًا ، فيجب على دعاة العقيدة الصحيحة أن يحاربوا هذه الظواهر الاجتماعية الباطلة ، وأن يعلموا المسلمين التوحيد الحقيقى ، من نسبة الخير إلى مولاه ، وأن كل حركة وسكنة فى الكون هى له ، وصادرة عن أمره ، وكائنة فى قدره ، وكل ذلك بعلمه ، فلا حول ولا قوة إلا به ، فرحمة الله على مالك إذ يعلمنا هذه العقائد الطيبة التى نفلح بها وننجح ، ونخسر ونهلك إن خالفناها .

ما رواه مالك في موطئه من النهى عن الحلف بغير الله

روى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب ، وهو يحلف بأبيه ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » (١) .

التعليق : والحديث ظاهر في النهى عن الحلف بالآباء ، ومثله الحلف بالنبي والكعبة وبالشرف وبالطعام ، وما يسمى بالأولياء والصالحين وغير ذلك ، مما هو واقع في هذه المجتمعات التي لا تقرأ موطأ مالك ، ولكنها تتمسح باسم مالك ، فمالك أورد هذه الأحاديث في موطئه لنصيحة الأمة في عقيدتها أولاً وفي عبادتها ثانياً .

فالحلف بغير الله فشره ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] ، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه العظيم ، الذي لم يؤلف مثله في باب : قال ابن عباس في الآية : الأنداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان ، وحياتي . وتقول : لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص . ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت . وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلاناً ، هذا كله شرك . رواه ابن أبي حاتم (٢) .

وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك » (٣) ، رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم .

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [٣٦٦/١٤] . ورواه مالك في الموطأ [كتاب النذور/١٤] ، والبخاري [٦٦٤٦] ، ومسلم [١٦٤٦] .

(٢) ذكره ابن كثير [٨٧/١] وسنده حسن ، وابن أبي حاتم [٢٣٠] .

(٣) رواه الترمذي [١٥٣٥] ، والحاكم [٢٩٧/٤، ١٨/١] ، وأبو داود [٣٢٥١] وصححه الشيخ الألباني .

وقال كعب : إنكم تشركون فى قول الرجل كلا وأبيك ، كلا والكعبة ، كلا وحياتك ، وأشبه هذا ، احلف بالله صادقاً أو كاذباً ، ولا تحلف بغيره ^(١) ، رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت أفاده الشيخ سليمان فى التيسير ^(٢) .

وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته ، وأجمعوا على المنع بالحلف بغيره ، قال ابن عبد البر : لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع . انتهى . ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين : إن ذلك على سبيل كراهة التنزيه ، فإن هذا قول باطل وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك ، بل ذلك مُحَرَّم ، ولهذا اختار ابن مسعود رضى الله عنه أن يحلف بالله كاذباً ولا يحلف بغيره صادقاً ^(٣) ، فهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكبر من الكذب مع أن الكذب من المحرمات فى جميع الملل ، فدل ذلك على أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات . وقد أخذ طائفة من العلماء بظاهر الحديث الذى فيه : « فقد كفر أو أشرك » فقالوا : يكفر من حلف بغير الله كفر شرك ، قالوا : ولهذا أمره النبى ﷺ بتجديد إسلامه يقول : لا إله إلا الله ، فلولا أنه كُفِّرَ ينقل عن الملة لم يؤمر بذلك . وقال الجمهور : لا يكفر كفراً ينقله عن الملة ، لكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره ، أما كونه أمر من حلف باللات والعزى أن يقول : لا إله إلا الله ؛ فلأن هذا كفارة له ، مع استغفاره ، كما قال فى الحديث الصحيح : « ومن حلف فقال فى حلفه : واللات والعزى ، فليقل : لا إله إلا الله » ^(٤) ، وفى رواية فليستغفر . فهذا كفارة له فى كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم ، حيث حلف به ، لا أنه لتجديد إسلامه ، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه بذلك لا لكفره ، لكن الذى يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت [ص : ٦٣] .

(٢) تيسير العزيز الحميد [٥٩٤] .

(٣) رواه عبد الرزاق فى المصنف [٤٦٩/٨] ، والطبرانى فى الكبير [٨٩٠٢] ، وقال الهيثمى فى المجمع : رواه رواة الصحيح .

(٤) رواه البخارى [٦٦٥٠] ، ومسلم [١٦٤٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

صَادَقًا أَوْ كَاذِبًا ، فَإِذَا طَلَبْتَ مِنْهُ الْيَمِينَ بِالشَّيْخِ أَوْ تَرَبُّتَهُ أَوْ حَيَاتِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ ؛ لَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَى الْيَمِينِ إِنْ كَانَ كَاذِبًا . فَهَذَا شَرُّ أَكْبَرَ بَلَاءٍ رِيبٍ ؛ لِأَنَّ الْمُحْلُوفَ بِهِ عِنْدَهُ أَخُوفٌ وَأَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِنَ اللَّهِ ، وَهَذَا مَا بَلَغَ إِلَيْهِ شَرُّ عُتَادِ الْأَصْنَامِ ؛ لِأَنَّ جَهْدَ الْيَمِينِ عِنْدَهُمْ هُوَ الْحَلْفُ بِاللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ [النحل : ٣٨] ، فَمَنْ كَانَ جَهْدَ يَمِينِهِ الْحَلْفُ بِالشَّيْخِ أَوْ بِحَيَاتِهِ أَوْ تَرَبُّتِهِ ، فَهُوَ أَكْبَرُ شَرِّكَائِهِمْ ، فَهَذَا هُوَ تَفْصِيلُ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ (١) .

(١) تيسير العزيز الحميد [٥٩٤] .

الشفاعة في موطأ مالك

تواترت الشفاعة عند أئمة الحديث وتواردها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وأجمع عليها أهل السنة والجماعة قاطبة ، ولم ينكرها إلا حثالة الخوارج والمعتزلة الذين أصّلوا أصولاً فاسدة تصادم الوحيين القرآني والنبوي ، والإمام مالك يرد هذه الأصول الفاسدة بما جاء عن الله وعن رسوله ، وليعلم أن الشفاعة نوعان : مثبتة ومنفية .

فالمنفية : ما تظاهرت بها الآيات القرآنية في الرد على المشركين الذين نسبوا الشفاعة لأصنامهم وأوثانهم : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْشَاقَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ (٢٧) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ... ﴿ (٢٣) ﴾ [سبا] .
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

فشفاعة المقبورين لعبادهم ، لا فرق بينها وبين شفاعة عبّاد الأصنام ، فكل من ظن أن مقبوراً يشفع له عند الله ويتوسط له عنده ، فهذا لا شك في شركه ، بإجماع العلماء ، وهذه هي التي حاربها القرآن ، ومع الأسف فإننا نسمع ونقرأ كثيراً من الأشعار والمأثورات المملوءة بالشفاعة الشركية ، وعلماء الوقت يُقرّون ذلك ويؤيدونه ، وربما يدللون له ، فالشفاعة لله وحده لا يملكها غيره ، كما هو صريح القرآن . ورسول الله ﷺ غداً يوم القيامة شفاعته مربوطة بإذن من الله ، كما هو مفصّل في حديث الشفاعة الطويل . وأنه يأتي إلى العرش فيحمد ربه بمحامد لا يعرفها في الدنيا ، فيأذن الله له فيقال له : سل تعطه واشفع تشفع فشفاعته في الدنيا تطلب من الله تعالى أن يشفع في الآخرة . اللَّهُمَّ شَفِّعْ فِينَا نَبِيكَ وخيار خلقك^(١) .

(١) الموطأ [٩٨/١] . وحديث الشفاعة أخرجه البخاري [٧٤١٠] ، ومسلم [١٩٣] عن أنس .

روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« لكل نبي دعوة يدعو بها ، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة » (١) .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب القرآن/٢٦] ، وأخرجه البخاري [٦٣٠٤] ، ومسلم [١٩٨] .

إخلاص الدعاء لله من كمال التوحيد

جاء رسول الله ﷺ ليُعلم أُمَّته التوحيد في أقوالها وأفعالها وجوارحها وقلوبها ، ومن أعظم كمال التوحيد إخلاص الدعاء لله وعدم شركه بغيره فيه ، فمن أشرك به في دعائه أو أخلصه لغيره أُوْكَلَّه إلى نفسه ، وقد شارك الإمام مالك في موطنه بروايات عن رسول الله ﷺ في الدعاء وآدابه ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اهتمامه بالعقيدة الصحيحة . والدعاء نوعان : دعاء مسألة ، ودعاء عبادة ، وبكل جاءت النصوص عن الله وعن رسوله ، فقال الله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف : ٥٥] ، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وفي الترمذى من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الدعاء هو العبادة »^(١) .

روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقل أحدكم إذا دعا : اللهم اغفر لى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ، ليُعزم المسألة ؛ فإنه لا مكره له »^(٢) .

وروى أيضًا عن ابن شهاب عن أبى عبيد مولى ابن أزهري عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، فيقول دعوت فلم يستجب لى »^(٣) .

(١) رواه الترمذى [٣٣٧٢، ٣٢٤٧] ، وأبو داود [١٤٧٩] ، وابن ماجه [٣٨٢٨] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٢٨] ، والبخارى [٦٣٣٩] ، ومسلم [٢٦٧٩] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٢٩] ، والبخارى [٦٣٤٠] ، ومسلم [٢٧٣٥] .

التعليق : هكذا يعملنا رسول الله ﷺ أن نتأدب مع خالقنا ومعبودنا ، وألا نقيسه بالخلق ، وألا نخاطبه بخطابنا للمخلوق ، فنقول له : إن شئت فافعل ، ونعلق إجابته بمشيئة ، فهذه قلة أدب مع الله وجهل بعظمته وقدرته ، ولو قدرناه حق قدره ما قلنا ذلك ، فنحن عبيده وفقراؤه ، وحاجتنا إليه لا تنقضى ولا تنتهى ، فكيف وحياتنا وموتنا بيده سبحانه ، لا إله إلا هو .

موقف الإمام مالك من الشيعة

جاء فى الصارم المسلول : وقال مالك رضى الله عنه : إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح فى النبى عليه الصلاة والسلام ، فلم يمكنهم ذلك فقدحوا فى أصحابه حتى يقال : رجل سوء ، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين^(١) .

وجاء فيه أيضاً : قال مالك : من شتم النبى ﷺ قُتِل ، ومن سب أصحابه أُدب .

التعليق : ما أصدق هذا القول من هذا الإمام فى هؤلاء الأراذل الذين سَخَرُوا ألسنتهم ودماءهم وأجسادهم وأقلامهم فى شتم أصحاب رسول الله ﷺ ، ويعتبرون أن هذا الأمر شرط من شروط الإيمان ، فلا يتم إيمان أحدهم ، بل لا يبدأ إيمان أحدهم ، إلا بهذه العقيدة السفیة ، وشبابنا - أى شباب أهل السنة - لبعدهم عن قراءة ما يكتبه الشيعة ، ولبعد أسماعهم وعدم الاختلاط بهم فى بعض المجتمعات البعيدة عنهم ؛ يعتبرونهم الأخوة الصادقين ، وينادون فى كل مكان بالتقارب مع الشيعة ، وينسون هذه المواقف العظيمة التى سجلها أئمتنا رضوان الله عليهم ، فهذا هو الإمام مالك يبين لنا فى هذه القولة الخطّ الواضح الشنيع للشيعة ، وأنهم لا يقصدون صحابة رسول الله ﷺ ، ولكن القصد بالضبط هو النبى ﷺ ، لكن جبنهم وخوفهم من سطوة أهل السنة والجماعة يجعلهم يتنازلون عن الإمام الأكبر إلى أصحابه ، وهذا الخط الباطنى منذ بدايته إلى يومنا هذا لا يخفى إلا على مغفل جاهل بحال هؤلاء الأراذل زراعة اليهود والمجوس وثمارهم ، ومن رأته يحب هذا الخط ويعززه ويشنى عليه ، فاعلم أن فى قلبه مرضاً ، نسأل الله العافية .

(١) كتاب الصارم المسلول [ص : ٥٨٠] .

وقال عبد الملك بن حبيب : من غلا من الشيعة فى بغض عثمان والبراءة منه
أُدب أدباً شديداً ، ومن زاد إلى بغض أبى بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ، ويكرر
ضربه ، ويطال سجنه حتى يموت^(١) .

التعليق : فهذا مالك رحمه الله وأصحابه يُبيِّتون لنا جزاء شاتم الصحابة ؛ بأنه هو
الضرب والإهانة والسجن ، إن تمادى على ذلك ، حتى يكفى شره ولا يؤذى
المسلمين بشتم أصحاب رسول الله ﷺ ، فهذا هو الخط السلفى الصحيح ، والمنهاج
الثابت الذى لا مزية فيه ، فعليك بهذا ولا تَبْغِ بغيره بديلاً .

(١) كتاب الصارم المسلول [ص : ٥٦٩] .

وجاء فى المدارك للقاضى عياض : كنا عند مالك ، إذ وقف عليه رجل من العلويين ، وكانوا يُقبلون على مجلسه ، فناده: يا أبا عبد الله ، فأشرف له مالك ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه ، فقال له الطالبي : إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله إذا قدمت عليه وسألني ، قلت : مالك ؟ قال : لى !

فقال له : قل .

قال : مَنْ خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟

قال : أبو بكر .

قال العلوى : ثم من ؟

قال مالك : ثم عمر .

قال العلوى : ثم من ؟

قال : الخليفة المقتول ظلماً عثمان .

قال العلوى : لا أجالسك أبداً .

قال له مالك : الخيار إليك^(١) .

التعليق : انظر رحمك الله حالة القرون الأولى المفضلة ، التى كانت فيها أعلام السنة منشورة ، وهى أرضها وسماؤها ، ومع ذلك تجد أمثال هؤلاء المشاغبين ، الذين ينازعون مثل هذا الإمام ، ويتوقعون عليه بهذه الوقاحات الخسيسية ، والمهم عندنا خط الإمام الواضح الذى يسوره بالكتاب والسنة ، ويلتزم به ، رضى زيد أم غضب عمرو ، وهكذا ينبغى لكل سلفى قرأ هذه المواقف .

(١) ترتيب المدارك [١٧٤/١-١٧٥] .

وجاء في المدارك أيضًا : قال مصعب الزيرى وابن نافع : دخل هارون الرشيد المسجد ، فركع ثم أتى قبر النبي ﷺ ، ثم أتى مجلس مالك فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال مالك : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . ثم قال لمالك : هل لمن سب أصحاب النبي ﷺ فى الفىء حق ؟ قال : لا ، ولا كرامة . قال : من أين قلت ذلك ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، فمن عابهم فهو كافر ، ولا حق للكافر فى الفىء ، واحتج مرة أخرى . بقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ... ﴾ [الحشر : ٨-١٠] ، قال : فهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه ، وأنصاره الذين جاءوا من بعده يقولون : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ... ﴾ [الحشر : ١٠] الآية (١) .

فما عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه (٢) .

التعليق : انظر ، وفقك الله ، إلى هذه الفتوى الصريحة الصادرة من هذا الإمام ، والمستفتى هو أمير المؤمنين فى وقته ، وعلماء المسلمين يحيطون به فى كل الأمصار ، فهذه الفتوى تعتبر بمنزلة مرسوم من خليفة المسلمين إلى بقية المسلمين فى أنحاء أمصار المسلمين ، وهى بالنسبة للمسلمين الذين يأتون بعد هذا العهد حجة ومنهاج ، فقهم هؤلاء هو الفهم الصحيح التابع من فقه الكتاب والسنة ، فالإمام مالك يلحق الشيعة فى هذه الفتوى بالكفار الذين يغتazon من مناقب أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل كما قدمنا غير ما مرة ، وهو واقع يُعاش ، أن تصب كل اللعنات على صحابة رسول الله ﷺ ، وكل من ذكرهم بخير فهو عدو لدود لهذه البشردمة ، قبحهم الله أينما حلوا أو ارتحلوا .

(١) ترتيب المدارك [١٧٤/١] .

(٢) المصدر السابق .

موقفه من بدعة الجهمية وفروخهم

هذا الفصل من أهم الفصول في هذه الرسالة ، وقد أشبعه الإمام مالك رحمه الله قولاً وعملاً ، وروى في موطنه أحاديث كثيرة تنبئ على أن الإمام كان مُشبعًا بعقيدة السلف الصالح ، بخلاف ما يذكره الجهالة بسنة رسول الله ﷺ عامة ، وبموطنه خاصة ، زعموا أن مالكا لم يرو في موطنه أحاديث الصفات مثلما فعله غيره ؛ كالآجري وابن خزيمة والبيهقي ، وهذا ينبئ عن جهل عظيم ، وقد نقل هذه الفكرة القرطبي في أسنانه وفرح بها وروج لها .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية القائلين بذلك في فتاواه ، ويُن بطلان هذا الزعم .

وقد ذكرت في هذا البحث نماذج كثيرة توقف القارئ على أحاديث الصفات في موطن مالك ، وسنبداً بأقواله ثم نأتى إلى ذكر الأحاديث ، مستعينين بالله متوكلين عليه ، لا حول لنا ولا قوة إلا به ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .
جاء في جامع بيان العلم وفضله : وقال مالك : رأيت إن جاء من هو أجدل منه ، أيدع دينه كل يوم لدين جديد ؟ ^(١)

التعليق : هكذا حالة الكلاميين والفلاسفة ، يتنقلون من رأى إلى رأى ، ومن فكرة إلى أخرى ، ومن عقيدة إلى أخرى تملأ قلوبهم الشكوك وظلمات الجهل بعضها فوق بعض ، بخلاف المتمسك بعقيدة السلف ، فالنور يملأ قلبه ، واليقين والبصيرة ركيزته ومنهاجه ، نصوص يقرؤها ويعتقد محتواها ، لا تبديل ولا تغيير ؛ لأن منهاج النبوة لا جدال فيه ولا مناقشة ، وأما منهاج أهل اليونان فيدرس الرجل فيه أكثر من خمسين سنة ، ثم يعلنها صراحة أنه ما استفاد شيئاً ، وإنما جمع قيل وقالوا ويعلن أنه يموت على عقيدة العجائز ، نسأل الله السلامة والعافية .

(١) جامع بيان العلم وفضله [٩٥/٢] .

وروى ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله بالسند إلى مصعب بن عبد الله الزبيرى قال : كان مالك بن أنس يقول : الكلام فى الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام فى رأى جهنم والقدر ، وكل ما أشبه ذلك ، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام فى دين الله وفى الله عز وجل فالتسكوت أحب إلى ؛ لأننى رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام فى الدين إلا فيما تحته عمل^(١) .

التعليق : هكذا يحكى الإمام مالك عن نفسه وعن علماء أهل المدينة ؛ أنهم ينبذون الآراء الجهمية والقدرية وكل ما كان مماثلاً لها ؛ لأن الكلام فى الله وفى صفاته وفى أفعاله وفى قضائه وقدره ؛ مستندة عند مالك وعند علماء المدينة والسلف الصالح قاطبة على النصوص من الكتاب والسنة ، وأما الجدل الفارغ الذى مستنده الظن والتخمين فالعقلاء يرغبون عنه ويحذرون منه ، وهذا الباب ليس كبقية أبواب العلم ، فلا يُدرك بقياس ولا استحسان ، ولا بفكرة زيد وعمرو ، وإنما هو النص الواضح ، والخطأ فيه ليس كالخطأ فى بقية أبواب العلم ، وإنما هو خطأ فى الله وفى ذاته وأسمائه وصفاته .

(١) جامع بيان العلم وفضله [٩٤/٢] .

وفى جامع بيان العلم وفضله : بالسند إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق ابن خوير منداد المصرى المالكى قال فى كتاب الإجازات من كتابه فى الخلاف : قال مالك : لا تجوز الإجازات فى شىء من كتب الأهواء والبدع عند أصحابنا ، هى كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم ، ونفسخ الإجارة فى ذلك . قال : وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك^(١) .

التعليق : هكذا يحدد مذهب مالك أنواعًا من الكتب لا تجوز إجازتها ولا التجارة فيها ، وعقودها مفسوخة لا اعتبار بها ؛ وذلك لما تحويه من ضلال ، وهل فيه أكثر من ضلال العقيدة ؟ فماذا سيقول مالك لو بُعث هو وأصحابه ودخلوا إلى مكاتب المسلمين ؟ ولو تصفحوا مناهج المسلمين فى المدارس والثانويات والكليات ؟ فماذا فى هذه المناهج من كتب السنة والحديث ؟ ولو تصفّح الإمام مالك كتب الغزالي والجويني والشعراني وغيرها مما كتبه المحرّفون والمنحرفون فى عقائدهم ، فماذا سيقول الإمام مالك ؟ إن هذه النصوص وهذه الأحكام التى تُنقل عن الإمام مالك بمقارنتها إلى الواقع نجد الفرق شاسعًا والمسافة بعيدة ، والمعتزلة فى هذا الزمان الذين مثّل بهم وبكتبهم فى هذا الحكم لهم أنصار وأعوان ومؤلفات ضخام ، ملأت الشرق والغرب ، وما الأشعرية إلا فرع منهم ، وعلماء العالم الإسلامى - إلا من شاء الله - غالبهم أشاعرة ، والذى لا يعرف حقيقة الأشاعرة ولم يدرس أصولهم يعتقد أنهم الممثلون لمنهج أهل الحديث ، وهم فى الحقيقة لا يمثلون إلا امتدادًا لأصول الجهمية ، مع تلفيق فى بعض المسائل ، فهل تصدر هذا الحكم الذى حَكَمَ به الإمام مالك فى هذه الفتوى على كتب الأشاعرة والمعتزلة والمرجئة والصوفية والفلسفة وكتب الغزالي بأجمعها ، ولا سيما ما سماه بإحياء علوم الدين ، أو ماذا ؟ فليُنظر الناظر العاقل البصير إلى هذه الفتوى من هذا الإمام ، ويتصفّح هذه الكتب التى أشرنا إليها ، فإن كان منصفًا عالمًا بالكتاب والسنة - كالإمام مالك وأصحابه - حكم على عقودها فى بيعها وإجازتها بالنسخ . والله المستعان .

(١) جامع بيان العلم وفضله [٩٦/٢] .

جاء فى ذم الكلام : قال عن مالك : من طلب الدين والكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب^(١) .

التعليق : سبحان الله ، هكذا التربية ، وهكذا العقل ، وهكذا الفهم ، وهكذا الهداية ، لكل دار بابها ، ولكل مكان طريقه ، لا يجوز دخول البيت إلا من بابه ، ومن فعل غير ذلك كان سارقاً وظالماً ومجرماً ، ومن سلك طريقاً لمكان غير طريقه ضل وغوى ، فالدين طريقه الوحي ، وعلمه علم النبوة ، ولا سيما فى باب العقيدة ، فمن طلب العقيدة بغير الكتاب والسنة تزندق ، وكان جزاؤه الحيرة والشك ، وأن يلقَّب بما لقبه به الإمام مالك ، وما كتب العقيدة التى تدرس فى المدارس الكبرى كلها على طريق علم الكلام ، فالعقيدة الأشعرية والماتردية والمعتزلة كل هذه العقائد مبناها على علم الكلام ، وهى المنتشرة فى كتب التفسير والأصول التى من تأليف المتأخرين ، الذين كان علماءهم معتزلة وأشاعرة ؛ كالرازى والغزالى والبيضاوى وغيرهم ، فلذا يجب على المسلمين وعلى شبابهم الراغبين فى الحق ، طئ هذه المصادر والرجوع إلى ما ألفه سلفهم فى التفسير والحديث وأصول الفقه ، ففيها غنية وكفاية وهداية ونور وبرهان .

(١) كتاب ذم الكلام [ص : ١٧٣] .

جاء فى الاعتصام : روى عن مالك رضى الله عنه فى القائل بخلق القرآن أن
يوجع ضرباً ويسجن حتى يموت^(١) .

التعليق : هذا هو موقف الإمام رحمه الله من المعتزلة وفروعهم ممن يقولون : بخلق
القرآن وتعطيل الأسماء والصفات ، وأن جزاءهم هو التعزير بالضرب والسجن بعد
المحاورة وإزالة الشبه التى يلقونها بشياطين الإنس والجن ، ومع صراحة هذه الأحكام
ووضوحها نجد هناك من يدافع عن المعتزلة والأشاعرة ، وهم من فروعهم ، فلا أدرى
هل وقفوا على هذه الأحكام أم جهلوا أم يتجاهلونها .

والحقيقة أن هذه المسألة الخبيثة التى ابتدعتها المعتزلة جرت على المسلمين شراً كثيراً طيلة
عهودهم التاريخية .

(١) كتاب الاعتصام [١٧٧/١] .

وجاء فى السير : حدثنا ابن وهب ، سمعت مالكا يقول : ليس هذا الجدل من الدين فى شىء .

وسمعه يقول : قلت لأمر المؤمنين فىمن يتكلم فى مثل هذه المسائل المعضلة : الكلام فيها يا أمر المؤمنين يورث البغضاء^(١) .

التعليق : هكذا يخاطب الإمام مالك أمير وقته ويفتيه بما يراه هو الصواب ، ويبين له أن الحيد عن المنهج السلفى فى أصول الدين يورث العداوة والشقاق ، وكان كما قال الإمام مالك رحمه الله : فلما ترك المسلمون الكتاب والسنة وطلبوا أصول الدين فى علم اليونان والتراث النصرانى واليهودى والهندى ؛ تفرقت كلمتهم وانشقوا أحزابا وفرقا ، ورفعوا السيوف على بعضهم ، وسفكت الدماء بينهم ، وأقيمت المحاكم لهم ، واختلفت مشاربهم ، وتوزعت كلمتهم ، وما يزال المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها يعيشون على تلك السموم القاتلة ، وتركوا النور والهدى .

(١) سير أعلام النبلاء [١٠٥/٨] .

وجاء في ذم الكلام : أن مالكاً سئل عن الكلام والتوحيد ، فقال مالك : محال أن يُظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد . والتوحيد ما قاله النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » ^(١) . فما عُصِمَ به المال والدم فهو حقيقة التوحيد ^(٢) .

التعليق : هكذا يصرح الإمام مالك رحمه الله ويلقيها للمسلمين صريحة ، وهذا من الإمام مالك ليس بالغريب ، فهو إمام أهل القرآن في وقته ، وإمام أهل الحديث والفقه والأصول والعقيدة ، فوضوح العقيدة من كتاب الله ووضوحها من سنة رسول الله ، وتوفيتهما لهذا الأمر بالنسبة للإمام من الأوليات ، وعنده وعند كل عالم ، من المعلوم من الدين بالضرورة ، فكيف يقع أدنى جدال في هذه الحقيقة الكبرى التي تسطع شمسها في قلب كل عالم بالكتاب والسنة ، فلهذا يستغرب الإمام مالك وجود غيرها في نفوس المسلمين ، ويستغرب ما حدث في عهده من طلب أصول الدين من غير الكتاب والسنة ، فلهذا يستشهد بأصغر الأشياء على أكبرها ، وهذه حجة - لعنمُ الله - من أوضح الحجج ، فكيف يعكف النبي ﷺ على تعليم أمته أصغر الأشياء وأقلها ومندوباتها ومستحباتها ، ويحذرهم من صفائر الأمور ، وقطع عليهم كل سبيل للشر ، وفتح لهم أبواب كل خير ، ونقل صحابته عنه كل حركاته وسكناته ، حتى اضطراب لحيته في صلاته وجلوسه على أكله ونومه ويقظته في سفره وحضره ، وما استتر عنهم في بيته هياً الله له الحافظات من نسائه ، فكيف يُظن به هذا الظن السيئ الذي هو لازم لكل من طلب علم الكلام ليصل به إلى معرفة أصول الدين ، فهذا مستحيل في حقه ﷺ ، فقد قاتل النبي ﷺ على التوحيد ، وغزا القرى والمدن ، وسبى الذراري والنساء ، وجعل الرجال أسارى في يد المسلمين ، فهل يُظن بالنبي ﷺ أنه قاتل على غير التوحيد وفروعه ، وهذا منهج أصحابه بعده ﷺ ورضى الله تعالى عنهم ، فهم قاتلوا على التوحيد ، ونشروا التوحيد في البلاد المفتوحة ، فالإمام مالك رحمه الله عليه يقرر هذه الحقيقة ويراهها من بدهيات الأمور ، ويستبعد أن يخطر غيرها في بال المسلم .

(١) أخرجه البخاري [١٣٩٩] ، ومسلم [٢٠] وهو حديث متواتر .

(٢) كتاب ذم الكلام [ص : ٢٢٠] .

أخرج الهروي في ذم الكلام : من طريق عبد الرحمن بن مهدي قال : دخلت على مالك وعنده رجل يسأله فقال : لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد ؟ لعن الله عمرو بن عبيد ، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون ، كما تكلموا في الأحكام والشرائع^(١) .

التعليق : هكذا يصرح الإمام مالك بأسماء أصحاب البدع ، ويذكر نهجهم الباطل ، ويتبع ذلك بلعنة الله على رؤوسهم ، ويرجع بالناس إلى الحقيقة المقررة عنده وعند غيره من علماء السلف رضي الله عنهم . ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع ، فكيف يتكلمون في علم أجمعوا على التحذير منه بعد معرفة ضلاله ، وهم مأمورون بالنصيحة للمسلمين ، فنصيحتهم للمسلمين توجب عليهم تعليم المسلمين ما ينفعهم وتحذير المسلمين ما يضرهم ، فتكلموا رضي الله عنهم في الأحكام والشرائع ، وبينوا أصول الدين غاية البيان ، وهي واضحة في الكتاب والسنة غاية الوضوح .

(١) كتاب ذم الكلام [ص : ٧٣] .

وجاء فى شرف أصحاب الحديث للخطيب بالسند إلى إسحاق بن عيسى قال :
سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال فى الدين ويقول : كلما جاءنا رجل أجدل
من رجل أردنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبى ﷺ (١) .

وجاء فى ذم الكلام بالسند إلى أشهب بن عبد العزيز قال : سمعت مالك
ابن أنس يقول : إياكم والبدع .

قيل : يا أبا عبد الله ، وما البدع ؟

قال : أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ،
ولا يسكتون عما سكنت عنه الصحابة والتابعون بإحسان (٢) .

التعليق : هذه هى وصية الإمام مالك ونصيحته لعموم أمة محمد ﷺ ، وهى اجتناب
البدع على اختلاف أنواعها وأشكالها ، وخصوصاً البدع الكلامية المنطقية التى
استعملت فى تعطيل أسماء الله وصفاته من جهة ، وفى تشبيه أسماء الله وصفاته من
جهة أخرى ، ولكن فى إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه ، وما أثبتته له رسوله ﷺ
من غير تكليف ولا تحريف ولا تعطيل ، فالسلف الصالح ، رضوان الله عليهم ،
يقفون فى أسماء الله وصفاته موقف التوقيف ، فلا يطمعون فى معرفة الكيفية
ولا يعطلون ما جاء به النص ، فما أعظم هذا المنهج الذى أخذ الوسطية بين
المشبهة والمعطلة والمحرفة ، فالإمام مالك رحمه الله يحذر من المنهاج الجهمى وفروعه
وفروخه كيفما تشعب وتفرع ، ولكن نصيحة الإمام مالك لم يحافظ عليها إلا قلة
من السلف ، وهم جماعة من علماء الحنابلة رضى الله عنهم وغيرهم ممن ركب هذا
المنهج واقتنع به .

(١) شرف أصحاب الحديث [ص : ٥] والحديث سبق تخريجه .

(٢) كتاب ذم الكلام [١٧٣/٦] .

جاء فى الحلية لأبى نعيم : بالسند إلى جعفر بن عبد الله قال : كنا عند مالك ابن أنس فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف استوى ؟ فما وجد مالك من شىء ، ما وجد من مسأله ، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود فى يده حتى علاه الرضاء - يعنى العرق - ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال : كيف منه غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة ، وأمر به فأخرج .

التعليق : هذا يدل على أن السلف رضوان الله عليهم كان لهم اهتمام بالغ بعقيدة القرآن والسنة ، وأن اتباعهم للقرآن والسنة ولمنهج الصحابة والتابعين كان أمراً حتمياً عندهم ، والخروج عن هذا المنهج يبعث على الدهشة والاستغراب ، وكأن الإنسان يريد أن يلفظ أنفاسه لعظم الموقف ، فالإمام مالك رأى من هذا السائل الانحراف عن المنهج الصحيح ، فأوجعه ذلك وأضر به فيا حبذا لو كان فى كل عصر ، وفى كل مصر ، وفى كل جماعة مثل الإمام مالك الذى تأخذه الغيرة على المنهج السلفى إذا انحرف الناس عنه .

فالإمام مالك أعرب عن المنهج السلفى وبيّنه أحسن بيان فى باب الأسماء والصفات ، وترك هذه القاعدة الكبرى والمعلمة العظمى ، التى تلقاها عن سلفه الصالح ، وهى قاعدة فى كل الأسماء والصفات ليست فى الاستواء وحده ، ولكنها فى اليد والوجه والقدم واليمين والأصابع والعين والجوى والإتيان والذات والعلم والقدرة والإرادة وكل الصفات الفعلية والذاتية .

وكتب ابن تيمية وابن القيم وما تفرع منها ليست إلا لتقرير هذه القاعدة الكبرى ، وما أتى ابن تيمية ومحبوه بشىء جديد ، إلا أنه أحيا مذهب السلف الصالح ودحض حجج المبتدعين على اختلاف أنواعهم ، فرحمة الله عليه وعلى سلفنا الصالح ، وجعلنا على منهاجهم .

جاء فى ترتيب المدارك : قال القاضى عياض : قال ابن نافع وأشهب - وأحدهما يزيد - على الآخر ، قلت : يا أبا عبد الله ، ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ ٢٢ ﴾ [القيامة] ، ينظرون إلى الله ؟

قال : نعم بأعينهم هاتين .

فقلت له : فإن قوماً يقولون : لا يُنظر إلى الله ، إن ناظرة : بمعنى منتظرة إلى الثواب .

قال : كذبوا ، بل ينظرون إلى الله ، أما سمعت قول موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ ارِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] أفترى موسى سأل ربه محالاً ؟ فقال الله : ﴿ لَنْ تَرَنِى ﴾ فى الدنيا ؛ لأنها دار فناء ، ولا ينظر ما يبقى بما يفتنى ، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى ، وقال الله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ ^(١) [المطففين : ١٥] .

التعليق : وهل هناك أصرح من هذا الحكم من الإمام مالك فى رؤية الله يوم القيامة بعين البصر ؟! فما بال الناس يختلفون فى هذه الحقيقة المقررة عند السلف ، ومعلومة عندهم من الدين بالضرورة ، فيورد المتأخرون من معتزلة ومن صار فى دربهم كل شبهة ليردوا بها نصوصاً صريحة ، ومنها ما أجمع عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم إلا من شذ من بعد الصحابة ، فالإمام مالك لم يأت بشيء جديد ، فهو تابع لما قرره سلفه الصالح فى الاستدلال بالآيات القرآنية الظاهرة الدلالة فى المسألة التى لا تقبل دفعا بالتأويل أو التعطيل ، فهكذا منهاجهم رضى الله عنهم ؛ الاستدلال بالقرآن والفهم الصحيح لآياته وتنزيلها منازلها دون إيراد الشبه والعلل الباطلة التى لا مستند لها ، فكم أخذت هذه المسألة الواضحة من وقت من المعتزلة والأشاعرة الذين أخذوا منهاجهم عن غير المنهاج السلفى ، واستقوا أصولهم من غيره فضلوا وأضلوا .

(١) ترتيب المدارك [١٧٢/١] .

وجاء فى فتح البارى : وقد أخرج أبو العباس السراج فى تاريخه عن الحسن ابن عبد العزيز ، وهو من شيوخ البخارى ، سمعت عمرو بن أبى سلمة يقول : سمعت مالك بن أنس وقيل له : يا أبا عبد الله قول الله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ . يقول قوم : إلى ثوابه .

فقال : كذبوا فأين هم من قوله تعالى : ﴿كَذَّابًا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِيزٌ لَّمَّخْبُؤُونَ﴾^(١) . وجاء فى أصول الاعتقاد : وحدثنا أبو موسى الأنصارى أنه قال لمالك : يا أبا عبد الله ، فإن قومًا يزعمون أن الله لا يرى . قال مالك : السيف السيف^(٢) .

التعليق : فلو ذهب الناس على توجيه الإمام مالك رضى الله عنه لهم ما ضيعوا وقتا ولا أفسدوا عقلا ولا سودوا صحفا ولا حرفوا عقيدة ، ولكن ضياع القرآن وذهاب السلطان الذى ينشر القرآن سبب هذا كله ، ووقع الانفلات ونشر كل صاحب شبهة شبهته ، وكل صاحب زندقة زندقته ، وكل صاحب إلحاد إلحاده ، والسلطان والقرآن لا يفترقان ، فإذا ضاع القرآن والسنة ، ومحيت علومهما من الأرض ، طبق الله سمواته على أرضه وطواهما يمينه . وفقدان السلطان الذى يأخذ على يد الظلمة والطغاة بسبب إهمال القرآن والسنة ، ويفتح الباب لكل عاثٍ فى الأرض بالفساد ، وهذه أمور لا تخفى على اللبيب .

(١) فتح البارى [٤٢٦/١٣] .

(٢) أصول الاعتقاد [٤٥٥/٢] .

وجاء فى السير : روى عبد الله بن أحمد فى كتاب الرد على الجهمية إلى عبد الله ابن نافع قال : قال الله فى السماء ، وعلمه فى كل مكان ، لا يخلو منه شيء^(١) .

التعليق : هكذا يقرر مالك رحمه الله حقيقة المعية ، ويفرق بين الاستواء على العرش وبين علم الله الذى لا يخلو منه مكان ، وهذه حقيقة مقررة عند الصحابة والتابعين وأتباعهم ، فلا تأويل فى المعية كما يزعمه من زعمه من المفسرين والمحدثين ، فأيات الصفات بابها واحد به تفهم وبه تعلم ، فلا تفريق بين صفة وأخرى ، ولا تأويل لواحدة دون الأخرى ، فصفة المعية كغيرها ، وقد أثبت ذلك فى كتابي : « المفسرون بين التأويل والإثبات فى آيات الصفات » فى صفة المعية فى الرد على المؤولة ، والحمد لله رب العالمين .

(١) سير أعلام النبلاء [١٠١/٨] .

وجاء في السير بالسند إلى أبي أويس : سمعت مالكا يقول : القرآن كلام الله ، وكلام الله منه ، وليس من الله شيء مخلوق^(١) .

وجاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض : وجاء إلى مالك رجل فقال له : ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق ؟ قال : زنديق فاقتلوه . قال : يا أبا عبد الله ، ليس هو كلامي ، إنما هو كلام سمعته . قال : لم أسمعه إلا منك^(٢) .

التعليق : هكذا يقرر الإمام مالك ، أن من فَرَّق بين صفات الله وذاته فادعى أن بعض صفاته مخلوق ، فهو زنديق يجب قتله ، وليس من الله شيء مخلوق ، وهذه مسألة شيطانية ، خرج بها الجهمية والمعتزلة ، وشقوا بها عصا الطاعة على أهل السنة والجماعة ، فأحدثوا بسببها فتناً لا يعلمها إلا الله ، فلذا كان الإمام مالك لا يتحمل سماع حكاية مثل هذه الأقوال الكافرة الباطلة ، فرحمة الله عليه وعلى أمثاله ممن نصرروا مذهب أهل السنة والجماعة .

وبعد هذه الأقوال ، وهذه المواقف التي نُقلت عن الإمام مالك ، ننتقل إلى نقل أحاديث الأسماء والصفات من موطأ الإمام مالك ؛ حتى يعلم القارئ أن مالكا رحمه الله جمع في موطئه مجموعة من أحاديث الأسماء والصفات ، حتى إن ابن تيمية يقرر في الفتاوى الكبرى وينقل عن الإمام مالك قوله : جمعت هذا خوفاً من الجهمية أن يضلوا الناس^(٣) .

وقد قرر رضي الله عنه في ردِّ جميل على أبي المعالي ، الذي يزعم أن مالكا وغيره من جماعة السلف لم يرووا أحاديث الصفات في مصنفاتهم ، ولنفاضة كلامه رضي الله عنه وجودته ، أنقله حتى يعرف القارئ مدى جهل علماء الكلام لسنة رسول الله ﷺ عامة ، ومدى جهل أبي المعالي الذي هو إمام الأشاعرة وإمامهم المبجل ، وكتبه هي أناجيلهم وزبورهم ، كما قرر شيخ الإسلام في غير ما موضع من كتبه ، رضي الله عنه قال رحمه الله في الفتاوى الكبرى :

(٢) المصدر السابق .

(١) سير أعلام النبلاء [١/١٧٤] .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام [٥/١٥٠] .

وأبو المعالي يتكلم بمبلغ علمه فى هذا الباب وغيره ، وكان بارعاً فى فن الكلام الذى يشترك فيه أصحابه والمعتزلة ، وإن كانت المعتزلة هم الأصل فيه لكثرة مطالعته لكتب أبى هاشم الجبائى ، فأما الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وقول أئمتها ؛ فكان قليل المعرفة بها جداً ، وكلامه فى غير موضع يدل على ذلك ، ولهذا تجده فى عامة مصنّفاته فى أصوله وفروعه إذا اعتمد على قاطع فإنما هو ما يدعيه من قياس عقلى أو إجماع سمعى ، وفى كثير من ذلك ما فيه ، فأما الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها ، فهو قليل الاعتماد عليها والخبرة بها ، واعتبره بما ذكر فى الرد على الآجرى ونحوه من العلماء الذين صنفوا فى أبواب السنة والرد على أهل الأهواء ، وقد ردوا عليهم بالسنة والآثار ، وذكروا فى ذلك أحاديث الصفات .

فإنه قال - أى الجوينى - : اعلم أن أهل الحق نابذوا المعتزلة وخالفوهم واتبعوا السمع والشرع ، وأثبتوا الرؤية والنظر ، وأثبتوا الصراط والميزان وعذاب القبر ومسألة منكر ونكير والمعراج والحوض ، واشتد نكيرهم على من ينسب إلى إنكار مآثور الأخبار والمستفيض من الآثار فى هذه القواعد والعقائد ، واتفقوا على أن الحسن والقيح فى أحكام التكليف والإيجاب والحذر لا يدرك عقلاً ، والمرجع فى جميعها إلى موارد الشرع وقضايا السمع ، ولكنهم لما بلغتهم أخبار متشابهة وألفاظ مُشكّلة لم يستبعدوا أن يكون فى الأخبار البين والظاهر والمجمل والمشكل ، فإن الله أخبر أن كتابه العزيز الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، منه آيات محكمات وأخر متشابهات ، أعرضوا عن ذكرها ولم يشتغلوا بها .

والدليل عليه أن أئمة السنة وأخبار الأمة بعد صُحْب رسول الله ﷺ ورضى عنهم لم يودع أحد منهم كتابه الأخبار المتشابهات ، فلم يورد مالك رضى الله عنه فى الموطأ منها شيئاً مما أورده الآجرى وأمثاله ، وكذلك الشافعى وأبو حنيفة وسفيان والليث والثورى ، ولم يفتوا بنقل المشكلات .

ونبغت ناشئة ضروا بنقل المشكلات ، وتدوين المتشابهات ، وتبويب أبواب ، ورسم تراجم على ترتيب فطرة المخلوقات ، ورسموا باباً فى ضحك البارى ، وباباً فى نزوله

وانتقاله وعروجه ودخوله وخروجه ، وبابًا فى إثبات الأضراس ، وبابًا فى خلق الله آدم على صورة الرحمن ، وبابًا فى إثبات القدم والشعر القطط ، وبابًا فى إثبات الأصوات والنعيمات ، تعالى الله عن قول الزائغين .

قال - أى الجوينى - : وليس يعتمد جمع هذه الأبواب ، وتمهيد هذه الأنساب ، إلا مُشَبَّهٌ على التحقيق ، أو متلاعب زنديق .

قال أبو عبد الله القرطبى ، وهو من علماء الأشعرية فى قول أبى المعالى : هذا بعض التحامل : وقد أثبتنا فى هذا الكتاب معنى شرح الأسماء الحسنى ، فإنه ذكر الصفات فى آخره من هذه الأخبار ما صح سنده وثبت نقله ومورده ، وأضربنا على الكثير منها استغناء عنها لعدم صحتها ، فليوقف على ما ذكرنا منها لنقل الأئمة الثقات لها ، وحديث النزول ثابت فى الأمهات ، أخرج الثقات الأثبات .

قلت - أى ابن تيمية - : هذا الكلام فيه ما يجب رده أمور عظيمة :

أحدها : ما ذكره عن سماهم أهل الحق ، فإنه دائمًا يقول : قال أهل الحق ، وإنما يعنى أصحابه ، وهذه دعوة يمكن كل أحد أن يقول لأصحابه مثلها ، فإن أهل الحق الذين لا ريب فيهم المؤمنون الذين لا يجتمعون على ضلالة ، فأما أن يفرد الإنسان طائفة منتسبة إلى متبوع من الأمة ويسمئها أهل الحق ، ويُشعر بأن كل من خالفها فى شىء فهو من أهل الباطل ؛ فهذا حال أهل الأهواء والبدع ، كالخوارج والمعتزلة والرافضة .

وليس هذا من فعل أهل السنة والجماعة ، فإنهم لا يصفون طائفة بأنها صاحبة الحق مطلقًا ، إلا المؤمنين الذين لا يجتمعون على ضلالة ، قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [محمد : ٣] .

وهذا نهاية الحق والكلام الذى لا ريب أنه حق ، قول الله وقول رسوله الذى هو حق وآت بالحق ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ﴾ [الأحزاب : ٤] ، وقوله تعالى :

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣] ، وقال الرسول ﷺ : « اكتب ، فوالذى نفسى بيده ما خرج من بينهما إلا حق » (١) .

فأهل الحق هم أهل الكتاب والسنة ، وأهل الكتاب والسنة على الإطلاق هم المؤمنون ، فليس الحق لازماً لشخص بعينه دائراً معه حيثما دار ، لا يفارقه قط إلا الرسول ﷺ ، إذ لا معصوم من الإقرار على الباطل غيره ، وهو حجة الله التى أقامها على عباده ، وأوجب اتباعه وطاعته فى كل شىء على كل أحد .

وليس الحق أيضاً لازماً لطائفة دون غيرها إلا للمؤمنين ، فإن الحق يلزمهم إذ لا يجتمعون على ضلالة ، وما سوى ذلك فقد يكون الحق فيه مع الشخص أو الطائفة فى أمر دون أمر ، وقد يكون المختلفان كلاهما على باطل ، وقد يكون الحق مع كل منهما من وجه دون وجه ، فليس لأحد أن يسمى طائفة منسوبة إلى اتباع شخص ، كائناً من كان ، غير رسول الله ﷺ بأنهم أهل الحق ، إذ ذلك يقتضى أن كل ما هم عليه فهو حق ، وكل من خالفهم فى شىء من سائر المؤمنين فهو باطل ، وذلك لا يكون إلا إذا كان متبوعهم كذلك ، هذا معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام ، ولو جاز ذلك لكان إجماع هؤلاء حجة ؛ إذا ثبت أنهم أهل الحق .

ثم يذكر أئمة الذين جعلهم أهل الحق ، ثم هو يخالفهم كما صنع فى مسألة الصفات الخيرية وغيرها ، مع أنهم فيها أقرب إلى الحق منه ، فكيف يسوغ له أن يخالف من شهد لهم بأنهم أهل الحق فيما اختلف فيه الناس من أصول الدين ، وله فى ذلك شبه قوى ببعض أئمة الرافضة الذين كانوا بالشام ، يقال له : ابن العود ، رأيت له فتاوى يدعى فيها فى غير موضع المحقة هم أتباع المعصوم المنتظر ، ويحتج بإجماع الطائفة المحقة بناء على أن قولهم مأخوذ عن المعصوم الذى لا يعرفه أحد ، ولم يسمع له بخبر ولا وقع له على عين ، ولا أثر ، حتى إنه قال : إذا تنازعوا فى مسألة على قولين : أحدهما ، يعرف قائله دون الآخر ، فالقول الذى لا يعرف قائله هو الحق ؛ لأن فى أهله الإمام المعصوم .

(١) الفتاوى [٦٠/٤] ، والحديث رواه أبو داود [٣٦٤٦] وصححه الشيخ الألبانى .

ثم رأيت يخالف أصحابه ويرد عليهم في مواضع ، فأين مخالفتهم والرد عليهم في دعوى أنهم الطائفة المحقة ، الذين لا يتفقون على باطل ، وكذلك دعاوى كثير من أهل الأهواء والضلال أنهم المحقون ، أو أنهم أهل الله أو أهل التحقيق ، أو أولياء الله ، حتى توقف هذه المعانى عليهم دون غيرهم ، ويكونون في الحقيقة إلى أعداء الله أقرب ، وإلى الإبطال أقرب منهم إلى التحقيق بكثير ، فهؤلاء لهم شبه قوى بما ذكره الله عن اليهود والنصارى من قوله : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٠] بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ١٣١] وَالْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة : ١٨] .

الثانى : أنه ذكر عنهم أنهم اتبعوا السمع والشرع ، وقد ذكر في أحوالهم التى بها صاروا أهل الحق عندهم أنه لم يثبت لله صفة بالسمع ، بل إنما ثبتت صفاته بالعقل المجرد ، وأن الذين أثبتوا ما جاء فى القرآن منهم من أثبت به بالعقل ، ومنهم من أثبت به بالسمع ، ورده على الطائفتين ، فأى اتباع للسمع والشرع إذا لم يثبت به شىء من صفات الله بالشرع ؟ بل وجوده كعدمه فيما أثبتوه ونفوه من الصفات ، فأثبتهم كانوا يشبتون الصفات بالسمع وبالعقل ، أو بالسمع ويجعلون العقل مؤكداً فى الفهم فى ذلك ، فأين اتباعهم للسمع والشرع وقد عزلوه عن الحكم به والاحتجاج به والاستدلال به .

والثالث : قوله : يشتد نكيرهم على من ينتسب إلى إنكار مآثور الأخبار والمستفيض من الآثار فيقال له : إذا لم يفد منها ثبوت معناها ، فأى إنكار لها أبلغ من

ذلك ؟! وأنت قد ذكرت إعراضهم عنها ، وقلت فيها من القرية ما سنذكر بعضه ، فهل الإنكار لمأثور الأخبار ومستفيضها إلا من جنس ما ذكرته فى هذا الكلام .

الرابع : ما ذكره أنهم يثبتون ما يثبتونه من أمر الآخرة ، فيقال لهم : هذا يثبتونه على وجه الجملة إثباتاً يشركهم فيه آحاد العوام ، ولا يعلمون من تفصيل ذلك ما يُجابُّ به أدنى السائلين ، وليس فى كتبهم ما فى ذلك من الأحاديث التى وصف بها النبى ﷺ ذلك ، ولهذا تجدهم بذلك من أقل الناس علماً بها ، أو تجدهم مرتابين فيها أو مكذبين ، فأى تعظيم بمثل هذا وأى مزية بهذا على أوساط العوام أو أدناهم ، بل كثير من عوام المؤمنين يؤمن بتفاصيل هذه الأمور ، ويعلم منها مما أخبره به الشارع ما ليس مذكوراً فى أصول هؤلاء ، وإنما الفضيلة على عموم المؤمنين بأن يكون الإنسان أو الطائفة من أهم العلم الذى لا يوجد عند عموم المؤمنين ، وليس فيما ذكره من هذه الأصول ذلك .

الخامس : الحجة أنهم نفوا التحسين والتقبيح العقلى ، وجعلوا أحكام الأفعال لا تتلقى إلا من الشرع ، فإنه يسنَّ بذلك تعظيمهم للشرع واتباعهم له ، وأنهم لا يعدلون عنه ليثبت بذلك تسننهم ، وهذا الأصل هو من أصول المبتدعة فى الإسلام ، لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها أن العقل لا يحسن ولا يقبح ، أو أنه لا يعلم بالعقل محسن فعل ولا قبحه ، بل النزاع فى ذلك حادث فى حدوث المائة الثالثة ، أما النزاع فى ذلك بين فقهاء الأمة وأهل الحديث والكلام منها ، فما من طائفة إلا وهى متنازعة فى ذلك ، ولعل أكثر الأمة تُخالف فى ذلك ، وقد كتبنا فى غير هذا الموضع فصل النزاع فى هذه المسألة ، ويُنَّ ما مع هؤلاء فيها من الحق ، وما مع هؤلاء فيها من الحق ، ثم يقال : ولو كانت هذه المسألة حقاً على

الإطلاق ، فليس لك ولا لأصحابك فيها حجة نافية ، بل عمدتك وعمدة القاضى ونحوكما على مطالبة الخصم بالحجة والقدح فيها فيما يديه ، والقدح فى دليل المنازع إن صح ذلك ؛ لا يوجب العلم بانتفاء قوله إن لم يقم على اليقين دليل ، وعمدة إمام المتأخرين ابن الخطيب الاستدلال على ذلك بالجبر ، وهو من أفسد الحجج ، فإن الجبر سواء كان حقاً أو باطلاً ، كما لا يُبطل الحكم الشرعى ، لا ينفى ثبوت أحكام معلومة بالعقل ، كما لا ينفى الأحكام التى يثبتها الشارع .

وعمدة الآمدى بعده أن الحُسن والقبح غرضٌ ، والعرض لا يقوم بالعرض ، وهذا من المغاليط التى لا يستدل بها إلا جاهل أو مغالط ، فإنه يقال فى ذلك ما يقال فى سائر صفات الأعراض ، وغايته أن يكون كلاهما قائماً بمحل العرض ، ونفى الحكم المعلوم بالعقل ، مما عدّه من بدع الأشعرى التى أحدثها فى الإسلام علماء أهل الحديث والفقه والسنة ، كأبى نصر السجزى وأبى القاسم سعد بن على الزنجانى ، دع من سواهم .

السادس : تسمية الأخبار التى أخبر بها الرسول ﷺ عن ربه أخبار متشابهة ، كما يسمون آيات الصفات متشابهة ، وهذا كما يسمى المعتزلة الأخبار المثبتة للقدر متشابهة ، وهذه حال أهل البدع والأهواء الذين يسمون ما وافق آراءهم من الكتاب والسنة محكماً ، وما خالف آراءهم متشابهاً ، وهؤلاء كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿١٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَمْ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٠﴾ وَكَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٨٥] ، وكما قال تَعَالَى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] .

السابع : قياسه لما سماه المتشابه فى الأخبار على التشابه فى آى الكتاب ؛ ليلحقه به فى الإعراض عن ذكره وعدم الاشتغال به ، وحاشا لله أن يكون فى كتاب الله ما أمر المسلمين بالإعراض عنه وعدم التشاغل به ، أو أن يكون سلف الأمة وأئمتها أعرضوا عن شىء من كتاب الله لاسيما الآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته ، فما منها آية إلا وقد روى الصحابة فيما يوافق معناها ويفسرها عن النبى ﷺ ، وتكلموا فى ذلك بما لا يحتاج معه إلى مزيد ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَكُوتُ مَطْوِيَّتٌ يَمِينُهُ ﴾ [الزمر : ٦٧] فإن المتأخرين ، وإن كان فيهم من حَرَف فقال : ﴿ قَبْضَتُهُ ﴾ قدرته ، و ﴿ يَمِينُهُ ﴾ بقوته أو بقسمه ، أو غير ذلك ، فقد استفاضت الأحاديث الصحيحة التى رواها خيار الصحابة وعلمائهم ، وخيار التابعين وعلمائهم بما يوافق ظاهر الآية ويفصل المعنى ، كحديث أبى هريرة المتفق عليه ، وحديث عبد الله ابن عمر المتفق عليه ، وحديث ابن مسعود فى قصة الخبر المتفق عليه ، وحديث ابن عباس الذى رواه الترمذى وصححه ، وغير ذلك ، وكذلك أنه خلق آدم بيديه وغير ذلك من الآيات .

الثامن : قوله : والدليل عليه أن أئمة السنة وأخيار الأمة بعد صحب النبى ﷺ لم يودع أحد منهم كتابه إلا الأخبار المتشابهات ، فلم يورد مالك رضى الله عنه فى الموطأ منها شيئاً كما أورده الآجرى وأمثاله ، وكذلك الشافعى وأبو حنيفة وسفيان والليث والثورى ، ولم يعتنوا بنقل المشكلات ، فإن هذا الكلام لا يقوله إلا من كان من أبعد الناس عن معرفة هؤلاء الأئمة وما نقلوه وصنفوه ، وقوله رجم بالغيب من مكان بعيد ، فإن نقل هؤلاء الأئمة وأمثالهم لهذه الأحاديث مما يعرفه من له أدنى نصيب من معرفة هؤلاء الأئمة ، وهذه الأحاديث عن هؤلاء وأمثالهم أخذت ، وهم الذين

أدوها إلى الأمة ، والكذب فى هذا الكلام أظهر من أن يحتاج إلى بيان ، لكن قائله لم يعتمد الكذب ، ولكنه قليل المعرفة بحال هؤلاء ، وظن أن نقل هذه الأحاديث لا يفعله إلا الجاهل الذين يسميهم المشبهة أو الزنادقة ، وهؤلاء برآء عنده من ذلك ، فتركب من قلة علمه بالحق ، ومن هذا الظن الناشئ عن الاعتقاد الفاسد ؛ هذا الكلام الذى فيه من الفرية والجهل والضلال ما لا يخفى على أدنى الرجال .

التاسع : قوله : لم يورد مالك فى الموطأ منها شيئاً ، وقد ذكر أحاديث النزول وأحاديث الضحك فيما أنكره ، ومن المعلوم أن حديث النزول من أشهر الأحاديث فى موطأ مالك ، رواه عن أجل شيوخه ابن شهاب عمن هو من أجل شيوخه ، أبى سلمة ابن عبد الرحمن وأبى عبد الله الأغر عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل فيقول : من يدعوني فأستجب من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له » (١) . ورواه أهل الصحاح كالبخارى ومسلم من طريق مالك وغيره ، وأحاديث النزول متواترة عن النبى ﷺ رواها أكثر من عشرين نفساً من الصحابة بمحضر بعضهم من بعض ، والمستمع لها منهم يصدق المحدث بها ويقره ، ولم ينكرها منهم أحد ، ورواه أئمة التابعين وعامة الذين سماهم من الأئمة رووا ذلك وأودعوه كتبهم وأنكروا على من أنكره .

قال شارح الموطأ الشرح الذى لم يشرح أحد مثله الإمام أبو عمر بن عبد البر : هذا الحديث ثابت ، فمن جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث فى صحته . قال : وهو حديث منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبى ﷺ ، وفيه

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/ ٣٠] ، والبخارى [٦٣٢١] ، ومسلم [٧٥٨] .

دليل على أن الله عز وجل فى السماء على العرش من فوق سبع سموات ، كما قالت الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة فى قولهم : إن الله فى كل مكان وليس على العرش ، وبسط الكلام فى ذلك .

وكذلك أحاديث الضحك متواترة عن النبى ﷺ وقد رواها الأئمة ، وروى مالك فى الموطأ منها حديثه عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة ؛ يقاتل هذا فى سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل فى سبيل الله فيستشهد ^(١) ، وقد خرجه أهل الصحاح من حديث مالك وغير مالك ، ورواه أيضًا سفيان الثورى الإمام عن أبى الزناد وحدث به .

وقد روى صاحبها الصحيح منها قطعة مثل هذا الحديث ، ومثل حديث أبى هريرة ، وحديث أبى سعيد الطويل المشهور فيه : « فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه ، فإذا ضحك الله منه قال : ادخل الجنة » ^(٢) . ورواه أعلام التابعين بإجماع المسلمين سعيد بن المسيب عن أبى هريرة وغير سعيد أيضًا ، ورواه عنه الزهرى وعنه أصحابه ، وفى هذا الحديث : « فيأتىهم الله فى صورته التى يعرفون » ، وهذا الحديث فى الصحيحين من طريق أخرى عن أبى سعيد من رواية الليث بن سعد إمام المسلمين وغيره الذى زعم أنه لم يكن يروى هذه الأحاديث ، وفيه ألفاظ عظيمة أبلغ من الحديث الأول ، كقوله : « فيرفعون رؤوسهم ، وقد تحول فى صورته التى رآوه فيها أول مرة » ، وقوله فيه : « فيكشف عن ساقه » ، وقوله : « فيقول الجبار بقيت شفاعتى فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا » .

وقد روى مالك أيضًا عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتى

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الجهاد/٢٨] ، وأخرجه البخارى [٢٨٢٦] ، ومسلم [١٨٩٠] .

(٢) أخرجه البخارى [٧٤٣٧] ، ومسلم [١٨٢] .

سبقت غضبى»^(١) أخرجه أصحاب الصحيح ، كالبخارى من طريقه وطريق غيره .
وروى البخارى فى صحيحه عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ
قال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين ، وتكون السموات يمينه ، ثم يقول أنا
الملك »^(٢) ، رواه سعيد عن مالك .

وقد روى مالك فى موطئه عن زيد بن أسلم عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد
ابن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه
الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۚ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، فقال عمر بن الخطاب : سمعت
رسول الله ﷺ يُسأل عنها فقال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم
مسح ظهره ، فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة
يعملون ، ثم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل
أهل النار يعملون . فقال رجل : يا رسول الله ، فقيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ :
إن الله تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على
عمل من أعمال أهل الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار ، حتى
يموت على عمل من أعمال أهل النار » ، وهذا الحديث إنما رواه أهل السنن والمسائيد
كأبى داود والنسائى والترمذى وقال : حديث حسن صحيح^(٣) . وقد قيل : إن
إسناده منقطع ، وإن راويه مجهول ، ومع هذا فقد رواه مالك فى الموطأ ، مع أنه أبلغ
من قوله لقوله : « ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذرية ... ثم مسح ظهره
فاستخرج منه ذرية » .

ومن العجب أن الآجرى يروى فى كتاب الشريعة له من طريق مالك والثورى والليث
وغيرهم ، فلو تأمل أبو المعالى وذووه الكتاب الذى أنكروه ؛ لوجدوا فيه ما يخصمهم ،
ولكن أبو المعالى مع فرط ذكائه وحرصه على العلم ، وعلو قدره فى فنه ؛ كان قليل

(١) رواه مالك فى الموطأ [١٦٩/١] ، وأخرجه البخارى [٣١٩٤] ، ومسلم [٢٧٥١] .

(٢) أخرجه البخارى [٧٤١٢] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [القدر/٢] ، وأبو داود [٤٧٠٣] ، والترمذى [٣٠٧٥] ، والنسائى [٣٤٧/٦] .

المعرفة بالآثار النبوية ، ولعله لم يطالع الموطأ بحال ، حتى يعلم ما فيه ، فإنه لم يكن له بالصحيحين : البخارى ومسلم ، وسنن أبى داود ، والنسائى ، والترمذى ، وأمثال هذه السنن ، عِلْمٌ أصلاً ، فكيف بالموطأ ونحوه ؟ وكان مع حرصه فى الاحتجاج فى مسائل الخلاف فى الفقه إنما عمدته سنن أبى الحسن الدارقطنى ، وأبو الحسن مع إتمام إقامته فى الحديث ، فإنه إنما صنف هذه السنن كى يذكر فيها الأحاديث المستغربة فى الفقه ، ويجمع طرقها ، فإنها هى التى تحتاج فيها إلى مثله ، فأما الأحاديث المشهورة فى الصحيحين وغيرهما فكان يستغنى عنها فى ذلك ، فلهذا كان مجرد الاكتفاء بكتابه فى هذا الباب يورث جهلاً عظيماً بأصول الإسلام ، واعتبر ذلك بأن كتاب أبى المعالى الذى هو نخبة عمره « نهاية المطلب فى دراية المذهب » ليس فيه حديث واحد معزى إلى صحيح البخارى ، إلا حديثاً واحداً فى البسمة ، وليس ذلك الحديث فى البخارى كما ذكره . ولقلة علمه وعلم أمثاله بأصول الإسلام ، اتفق أصحاب الشافعى على أنه ليس لهم وجه فى مذهب الشافعى ، فإذا لم يسوغ أصحابه أن يعتقد بخلافهم فى مسألة من فروع الفقه ، كيف يكون حالهم فى غير هذا ، وإذا اتفق أصحابه على أنه لا يجوز أن يُتخذ إماماً فى مسألة واحدة من مسائل الفروع ، فكيف يُتخذ إماماً فى أصول الدين ؟! مع العلم بأنه إنما نيل قدره عند الخاصة والعامة بتبحره فى مذهب الشافعى رضى الله عنه ؛ لأن مذهب الشافعى مؤسس على الكتاب والسنة ، وهذا الذى ارتفع به عند المسلمين غايته فيه أنه يوجد منه نقل جمعه ، أو بحث تفتن له ، فلا يجعل إماماً فيه كالأئمة الذين لهم وجوه ، فكيف بالكلام الذى نَصَّ الشافعى وسائر الأئمة على أنه ليس بعد الشرك بالله ذنب أعظم منه . وقد بينا أن ما جعله أصل دينه فى الإرشاد والشامل وغيرهما ، هو بعينه من الكلام الذى نصت عليه الأئمة ، ولهذا روى عنه ابن طاهر أنه قال وقت الموت : لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت فى الذى نهونى عنه ، الآن إن لم يدركنى ربى برحمته ، فالويل لابن الجوينى ، وها أنا أموت على عقيدة أمى ، أو عقائد عجائز نيسابور .

قال أبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمي : حكى لنا الإمام أبو الفتح الفقيه ابن علي الطبري الفقيه قال : دخلنا على الإمام أبي المعالي الجويني نعوده في مرضه الذي مات فيه بنيسابور ، فأقعد فقال لنا : اشهدوا على أني رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح عليهم السلام ، وإنني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور .

وعامة المتأخرين من أهل الكلام سلخوا خلفه ؛ من تلامذته وتلامذة تلامذته ومن بعدهم . ولقلة علمه بالكتاب والسنة وكلام سلف الأمة ، يظن أن أكثر الحوادث ليست في الكتاب والسنة والإجماع ما يدل عليها ، وإنما يعلم حكمها بالقياس ، كما يذكر ذلك في كتبه ومن كان له علم بالنصوص ودلالاتها على الأحكام علم أن قول أبي محمد ابن حزم وأمثاله ، أن النصوص تستوعب جميع الحوادث ؛ أقرب إلى الصواب من هذا القول ، وإن كان في طريقة هؤلاء من الإعراض عن بعض الأدلة الشرعية ما قد يسمى قياسًا جليًا ، وقد يجعل من دلالة مثل فحوى الخطاب والقياس في معنى الأصل وغير ذلك ، ومثل الجمود على الاستصحاب الضعيف ، ومثل الإعراض عن متابعة أئمة من الصحابة ومن بعدهم ، ما هو معيب عليهم ، وكذلك القدح في إعراض الأئمة لكن الغرض أن قول هؤلاء في استيعاب النصوص للحوادث ، وأن الله ورسوله قد بين للناس دينهم هو أقرب إلى العلم والإيمان الذي هو الحق ، ممن يقول : إن الله لم يبين للناس حكم أكثر ما يحدث من الأعمال ، بل وكلهم فيها إلى الظنون المتقابلة والآراء المتعارضة .

ولا ريب أن سبب هذا كله ضعف العلم بالآثار النبوية والآثار السلفية ، وإلا فلو كان لأبي المعالي وأمثاله بذلك علم راسخ ، وكان قد عَضُوا عليه بضرر قاطع ؛ لكانوا ملحقين بأئمة المسلمين ، لما كان فيهم من الاستعداد لأسباب الاجتهاد ، ولكن اتبع أهل الكلام المحدث والرأي الضعيف للظن ، ولما تهوى الأنفس ، الذي يقود صاحبه إلى حيث جعله الله مستحقًا لذلك ، وإن كان له من الاجتهاد في تلك الطريقة ما ليس لغيره ، فليس الفضل بكثرة الاجتهاد ولكن بالهدى والسداد ، كما جاء في الأثر : ما ازداد مبتدع اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا ، أو قال النبي ﷺ في الخوارج : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرءون

القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يرقون من الإسلام كما يرق السهم من الرمية ^(١) .
ويوجد لأهل البدع من أهل القبلة كالرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم من
الاجتهاد ، ما لا يوجد لأهل السنة في العلم والعمل ، وكذلك لكثير من أهل الكتاب
والمشركين ، لكن إنما يراد الحسن من ذلك ، كما قال الفضيل بن عياض في قوله
تعالى : ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود : ٧] ، قال : « أخلصه وأصوبه » .
فقليل له : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : « إن العمل إذا كان خالصاً ولم
يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً
صواباً ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة » ^(٢) .

وبعد هذا السياق الطويل الذي سقناه عن الإمام ابن تيمية رحمه الله عليه في رده على
الجويني أبي المعالي الذي زعم أنه ليس في الموطأ من أحاديث الصفات شيء ، وقد
تعمدت ذكر هذا كله ليقف القارئ على هذه الحقائق التي يجهلها أكثر الناس عن
أئمة الأشاعرة الذين جعلوهم العمدة في التوحيد وأصول الدين ، وهم مع التحقيق
لا علم بالكتاب ولا بالسنة ولا بالآثار السلفية ، فكيف لهم بمعرفة ما به الضرورة من
أصول الدين فأنى لهم بالإمامة والقدوة ؟ كما بين ذلك الشيخ ابن تيمية رحمه الله ،
فنسوق أحاديث الصفات من كتاب الموطأ ناقلين ذلك بالصفحة والجزء مستعينين بالله ،
فهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١) أخرجه البخاري [٣٣٤٤] ، ومسلم [١٠٦٤] .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية [٣٠١/٨] .

صفة الحياء

قال الإمام مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن الله لا يستحي من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ فقال : « نعم إذا رأت الماء »^(١) .

وروى مالك أيضاً عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبي ثمره مولى عقيل بن أبي طالب عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه ، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، فلما وقفا على رسول الله ﷺ سلما ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً . فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ، أما أحدهم فأوى إلى الله ؛ فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيا ؛ فاستحي الله منه ، وأما الآخر فأعرض ؛ فأعرض الله عنه »^(٢) .

التعليق : روى الإمام مالك هذا النص الصحيح الصريح في هذه الصفة ، وهو من أنصح الناس للأمة ، فلم يؤوله ولم يحرفه ولم يعطله ، وعادته رضي الله عنه في موطنه يعلق على النصوص التي فيها خلاف بين أهل المدينة وغيرهم ، أو يكون له رأى في توجيه النص ، أما هذا فلاجماع السلف على إثباته ، والقول بظاهره أقره على ما هو عليه ، ولو كان هناك ما يفضي خلاف الظاهر لبينه .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب الطهارة/٨٥] ، وأخرجه البخاري [١٣٠] ، ومسلم [٣١٣] .

(٢) رواه مالك في الموطأ [كتاب السلام/٤] ، وأخرجه البخاري [٦٦] ، ومسلم [٢١٧٦] .

صفة الرحمة

قال الإمام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِدَاج ، هي خِدَاج ، هي خِدَاج ؛ غير تمام » ، قال : فقلت : يا أبا هريرة ، إني أحياناً أكون وراء الإمام . قال : فغمز ذراعى ثم قال : اقرأ بها في نفسك يا فارسي ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » ، قال رسول الله ﷺ : « اقرأوا يقول العبد : الحمد لله رب العالمين . يقول الله تبارك وتعالى : حمدني عبدي . ويقول العبد : الرحمن الرحيم . يقول الله : أثني على عبدي . ويقول العبد : مالك يوم الدين . يقول الله : مجدني عبدي . يقول العبد : إياك نعبد وإياك نستعين ، فهذه الآية بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل ، يقول العبد : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل »^(١) .

التعليق : فماذا يقول الجويني أبو المعالي وغيره في هذا النص النبوي العظيم ، فهذا النص قد جمع أمهات الصفات ، بل كما قال الرسول ﷺ في الفاتحة : « إنها أم القرآن »^(٢) ، وذلك لجمعها أصول الأسماء والصفات خاصة وأصول الدين والعبادة وجزاء المتقين والمخالفين عامة ، فصفة الرحمة ظاهرة في القرآن والسنة ، وأكدت في غير ما آيات وحديث ، وهذا حديث قدسي من أصح الأحاديث ، أخرجه مسلم بهذا اللفظ وغيره ، فالثناء على الله بصفاته وأسمائه طريق أهل الحق والتوحيد ، لا التوسل بالذات والأشخاص ، كطريق المبتدعين ، فحديثنا القدسي يتضمن الثناء بصفة

(١) جزء [٨٥/١] الموطأ [كتاب الصلاة/٣٩] ، ومسلم [٣٩٥] .

(٢) رواه الترمذي [٣١٢٤] ، وأبو داود [١٤٥٧] وجاء معناه عند البخاري ومسلم .

الرحمة من العبد لربه وإجابته تبارك وتعالى بقوله : أثنى عليّ عبدى ، فهل يرده المعطلة ، ويقولون فيه معناه إرادة الإحسان .

وهذا لعمرُ الله هو التحريف ، فالإمام مالك رضى الله عنه لشدة ورعه ولسداد فهمه ، ولعلمه باللغة العربية منطوقها ومفهومها ، ترك الحديث على ظاهره ، وأثبت ما أثبتته الله لنفسه فى حديث نبيه القدسى ، وهذه هى الطريقة المثلى وغيرها تحريف وضلال ، والحديث فيه من الصفات صفة الملك والربوبية ، وحصر العبادة وتوحيدها لله تعالى ، وستأتى كل واحدة إن شاء الله فى محلها ، والحديث يحتاج إلى بسط وشرح ليبين ما فيه من العلوم والحكم ، وليس قصدنا هذا ، ولكن القصد أن نثبت أحاديث الصفات ونذكرها من كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس ، محققين ما ذكره أنه ألفه ضد الجهمية الذين يضلون الناس كما سبق أن نقلنا عن شيخ الإسلام ابن تيمية .

وروى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :
« اللَّهُمَّ ارحم المخلقين » .

قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟

قال : « اللَّهُمَّ ارحم المخلقين » .

قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟

قال : « والمقصرين »^(١) .

التعليق : فهل النفاة والمعطلة أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذى يصف ربه بالرحمة
الكاملة السابغة الشاملة ، أم ماذا ؟ أو يفسرونها بلازمها ، وتفسيرهم دعاهم إليه
مذهبهم الباطل وأصلهم الفاسد الذى وضعوه لتأويل آيات الصفات ، والإمام مالك
يذكر هذه الصفات فى موطئه ويقرها على ما هى عليه رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الحج/١٨٤] ، والبخارى [١٧٢٧] ، ومسلم [١٣٠١] .

روى مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري ، أنه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر يُعَلِّمُ الناس التشهد يقول : قولوا : التحيات لله ، الزكيات لله ، الطيبات الصلوات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » (١) .

التعليق : هكذا يروى الإمام مالك هذه النصوص العظيمة في التوحيد ، وفيها من الصفات ما يثلج صدر السلفي ، ويضيق صدر الجهمي المؤول المحرف الذي يتضايق من ذكر هذه النصوص فيضطر إلى تحريفها وتعطيلها ، كما فعل ابن فورك وغيره ، من أئمة المحرفة المعطلة ، الذين جمعوا أحاديث الصفات وحرفوها ، وأتوا لها بما لم يأت به السلف الصالح ، وسموها بعناوين ، نَفَثَ إبليس في روعهم ، فسموها بمشكل الحديث . ولازم هذا أن رسول الله ﷺ حدثنا بما لا يجوز له أن يُحدِّث به ، أو كان يشير إلى ألفاظ ومعان ما استطاع أن يفصح لعموم الأمة بها ، ويأخذ ذلك عنه صحابته الكرام ، وفي مقدمتهم عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين ، كما في هذا الأثر الذي يرويه عنه الإمام مالك ، فهل ذكر مالك هذه المشكلات ، ودلَّس على الأمة بالسكوت عنها وأدخلها في كتابه غاشاً للأمة ، فله العجب ، ما أقبحه من تصور ، فلو أنفق أحدنا مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مِغْشَاهُمْ . فأين الثرى من الثريا ؟

خير القرون المرضية تقارن بين مَنْ دخل في دين الروافض والمجوس والمعطلة الجهمية . والله المستعان .

وقد ذكر الإمام مالك تَشَهُّد عبد الله بن عمر ، وعائشة أم المؤمنين ، وكلها مليئة بالتوحيد والصفات والشهادة للنبي بالرسالة والنبوة ، فالنموذج الأول يكفي من ذكر بقية الروايات ، فمن شاء رجع إلى المصدر نفسه وأخذ من صفات الله وأسمائه ما يحتاج إليه .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب الصلاة/٥٣] ، والشافعي في الرسالة [٧٣٨] بتحقيق أحمد شاكر .

قول رسول الله ﷺ : « إن الله لا يمل حتى تملوا ... »

روى مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه بلغه أن رسول الله ﷺ ، سمع امرأة من الليل تصلى فقال : « من هذه ؟ » ، فقيل له : هذه الحولاء بنت ثؤيت ، لا تنام الليل ، فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى عُرفت الكراهية في وجهه ، ثم قال : « إن الله تبارك وتعالى لا يمل حتى تملوا ، اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة »^(١) .

صفة الغضب

روى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، أن رسول الله ﷺ قال : « اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »^(٢) .

قد تقدم في حديث مالك عن العلاء بن عبد الرحمن في الحديث القدسي يقول العبد : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل^(٣) .

التعليق : هذه الصفة المَلَل ، وهى كصفات الاستهزاء والخداع المضافة لله فى القرآن ، والصواب فيها ما عليه أئمة السلف من إثباتها لله تعالى على طريق الكمال ، فله استهزاء يليق وهو منه تبارك وتعالى عدل وإنصاف ، وله ملل يليق به ، وهو كمال ، وغير ذلك مما ورد فى هذا المعنى .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب صلاة الليل/٤] ، وهو عند البخارى [٤٣] ، ومسلم [٧٨٥] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [كتاب قصر الصلاة/٨٥] .

(٣) سبق تخريجه .

صفة الغيرة

روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت :
خَسَفَت الشمس في عهد رسول الله ﷺ ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس ، فقام
بأطال القيام ، ثم ركع فأطال الركوع ، ثم قام فأطال القيام ، وهو دون القيام
الأول ، ثم ركع فأطال الركوع ، وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فسجد ، ثم
فعل في الركعة الأخيرة مثل ذلك ، ثم انصرف ، وقد تجلت الشمس ، فخطب
الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ،
لا يَخْسِفَان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتصدقوا .
ثم قال : يا أمة محمد ، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته ،
والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »^(١) .

التعليق : في هذا الحديث إثبات الغيرة لله تعالى ، من رسول الله ﷺ ، وهو أعلم
الناس به ، فماذا سيقول الجهمية ؟ هل سيقرون الصفة على ظاهرها فيثبتونها كما
أثبتها السلف الصالح أم سوف يحرفونها إلى ما تُمليه عليهم شياطينهم ، وإلى ما تهواه
أنفسهم ، التي أُشربت بحب البدع والمبتدعة ؟ والإمام مالك رضى الله عنه يرى
منهم ، عدو لهم .

(١) رواه مالك في [١٨٦/١] الموطأ [كتاب صلاة الكسوف/١] ، والبخارى [١٠٤٤] ،
ومسلم [٩٠١] .

ما جاء فى قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

روى مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها ، فلما أصبح غداً إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقالتها ، فقال رسول الله ﷺ : «والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن» (١) .

التعليق : لماذا هذا التعظيم لهذه السورة القصيرة ، ألها خاصية من الخواص أم ماذا ؟ الحقيقة أن خاصيتها لما تحمله من معانى التوحيد وجوامع الأسماء والصفات ، فلهذا المزدد لقراءتها يردد العقيدة فى قلبه ، ويشئى على الله تعالى بما هو أهله ، فهذه هى مزيته ، والقرآن كله خير وبركة ، وأعظم آياته ما دل على أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى ، فالإمام مالك يذكر هذه النصوص فى موطئه مقتنعا بدلالاتها وما تحويه من معان سامية ، وهو بذلك يشارك فى نقل سنة رسول الله ﷺ إلى أمة محمد ، ويثبت عقيدتها بما ينبغى أن تثبت به .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/١٧] ، والبخارى [٥٠١٣] .

صفة السمع

روى مالك عن نعيم بن عبد الله المُجَمِّر عن علي بن يحيى الزُّرْقِي عن أبيه عن رفاعه بن رافع أنه قال : كنا يوماً نصلّي وراء رسول الله ﷺ ، فلما رفع رسول الله ﷺ رأسه من الركعة وقال : « سمع الله لمن حمده » ، قال رجل وراءه : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

فلما انصرف رسول الله ﷺ قال : « من المتكلم آنفاً ؟ » فقال الرجل : أنا يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ : « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها ؛ أيهم يكتبهن أول »^(١) .

التعليق : هكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون العقيدة فهماً جيداً أساسياً واضحاً ، فبمجرد ما يسمعون أو يقرعون اسماً أو صفة لله تبارك وتعالى يتبادرون إلى التعلق بها ، فيثبتونها ويشنون على الله بها ، فهذا الرجل المذكور في الحديث لم يقل هذا الدعاء الذي أعجب النبي ﷺ وتخطفته الملائكة تتسابق إلى كتابته إلا لإدراكه صفة الله التي ذكرها رسول الله ﷺ . والجهمية وضروبهم يحرمون الناس من هذا الخير الكثير ، ويصدونهم عنه بضلالهم وتعطيلهم الخبيث ، فرضى الله عن الإمام مالك ، إذ يُكثِّر في موطنه إثبات الأسماء والصفات ، يُرغم بذلك أنوف المعطلة .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب القرآن/٢٥] ، والبخارى [٧٩٩] .

صفة النزول

روى مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » (١) .

التعليق : هذا الحديث من الأحاديث التي أكثر الجهمية فيها الخوض والشغب ، ويبن لهم أهل السنة المنهاج الصحيح في هذه الصفة ومثلها ، فقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مفيدة سماها : شرح حديث النزول ، وألف الدارقطني قبله رسالة جمع فيها أحاديث النزول . وحديث النزول متواتر الطرق والمعنى ، أجمع عليه أئمة السلف ، ورواه المصنفون في كتبهم ؛ أصحاب الصحاح وغيرهم . والنزول نقول فيه كما قال الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال - أي عن الكيفية - بدعة . فرحم الله الإمام مالكاً إذ يروى لنا هذه الأحاديث العظيمة التي نزداد بها إيماناً ، ويترتب عليها من المنافع الدنيوية والأخروية ما الله عليم به ، فمن يقر بنزول الله تعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يكثر تعلقه بربه ، ويجتهد في دعائه ، وتكمل بذلك عبوديته ، وتقضى حاجته ، ويغفر ذنبه ، إلى غير ذلك من المنافع التي يعرفها أولو الأبصار .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب القرآن/ ٣٠] ، والبخاري [٦٣٢١] ، ومسلم [٧٥٨] .

صفة الرضا والسخط

روى مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن عائشة أم المؤمنين قالت : كنت نائمة إلى جنب رسول الله ﷺ ففقدته من الليل ، فلمسته بيدي ، فوضعت يدي على قدمه وهو ساجد يقول : « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (١) .

التعليق : هكذا يتعلق رسول الله ﷺ بصفات الله ويلوذ بها ، ويستعيز بها ، ويجعلها وزده في أهم عبادته وفي أعظم حالة عبوديته ، فليست هناك حالة أعظم من السجود ، ففي السجود تجتمع الجوارح والقلب ، وهو التعبير الكبير عن العبودية ، فماذا يقول الجهمية قبحهم الله في صد الناس عن أسماء الله وصفاته التي هي سعادة الدارين ١٢ وهي متعلق نبينا ﷺ ، وهي عروته الوثقى ، وهي مفزعه في شدته وكرهه ، لا مفزع له سواها ، فالإمام مالك ومشايخه وتلامذته يؤكدون هذه الحقيقة بهذه الأسانيد وهذه الروايات ، فأين أبو المعالي الجويني وأتباعه من أذئاب الجهمية والمعتزلة من صفة الرضا والسخط المستعاذ بهما ، والمستعاذ منهما ١٢ فهل يفسرون الرضا بلازمه وهو إرادة الثواب ، والسخط بلازمه وهو إرادة العقاب ؟ فهذا لعمر الله من الحماقات والسفاهات التي ما خطرت ببال الإمام مالك وسلفه الصالح رضوان الله عليهم .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب القرآن/٣١] وقال ابن عبد البر : لم يختلف عن مالك في إرساله ، وهو مسند من حديث الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة ، أخرجه مسلم [٤٨٦] .

صفتى النور والحق

روى مالك عن أبى الزبير المكي عن طاوس اليماني عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ : كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول : « اللَّهُمَّ لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض . ولك الحمد ، أنت قَيَّامُ السموات والأرض . ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللَّهُمَّ لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وأخرت ، وأسررت وأعلنت ، أنت إلهى لا إله إلا أنت » (١) .

التعليق : هذه الابتهالات وهذه العبودية الكاملة من إمام المتقين وسيد المرسلين تدل دلالة واضحة على عِظَمِ الأسماء والصفات ، وأن نبي الله ﷺ كان يغذى روحه وجسمه بها فى كل لحظة من لحظات حياته ، فماذا لو أردنا شرح هذا الدعاء العظيم ، وتتبعه جزئية جزئية ، اسماً وصفةً واعتراقاً بالانقياد الكامل ، والوقوف على عتبة العبودية فى أفضل الأوقات .

فمن يقرأ هذا النص ومثله يعرف سفاهة الجهمية وأمثالهم من دعاة التعطيل ، فصلى الله على نبينا محمد وجزاه عنا خيراً ، إذ علّمنا هذه الأسماء وهذه الصفات ؛ نستعيد بها فى دنيانا وأخرانا ، ورحمة الله على الإمام مالك إذ روى لنا هذه النصوص ومثلها وأيقظ الله شباب المسلمين لدراسة هذه النصوص والاقتداء بها ، فله الحمد وهو الحق ، وهو نور السموات والأرض ، يا من اتصف بالنور والحق نَوَّرَ قلوبنا واهدنا إلى الحق ، فأنت الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/٣٤] ، والبخارى [٦٣١٧] ، ومسلم [٧٦٩] .

صفة المحبة والكراهية

روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« قال الله تبارك وتعالى : إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه ، وإذا كره لقائي
كرهت لقاءه »^(١) .

التعليق : فى هذا النص العظيم محبة الله لعبده إذا أحب لقاءه ، وكراهة الله لعبده إذا
كره لقاءه ، فمحبة الله صفته اللائقة به وبكمالهِ ، ومحبة العبد لائقته به ، وبضعفه
وعجزه ، وكراهية الله صفة تليق به وبكمالهِ وبعدله وإحسانه ، وكراهية المخلوق صفة
تليق به وبعجزه وتقصيره .

فهذا الحديث الجامع لهاتين الصفتين من جوامع كلمه ﷺ ، وهو نتيجة حياة طويلة
انبت عليها هذه المحبة وتلك الكراهية ، فمن أطاع الله وأطاع رسوله وعبد الله بما
شرعه وعرف أسمائه وصفاته تعلق به وبلقائه ، وإذا عصاه وعصى رسوله وجهل
أسمائه وصفاته وأفعاله جهل قدره وكره لقاءه .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الجنائز/٥٠] ، والبخارى [٧٥٠٤] .

صفة مُقلب القلوب

ذكر مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا ومقلب القلوب »^(١) .
التعليق : هكذا كان سيد الأولين والآخرين يقسم أحياناً باسمه وأحياناً بصفاته على حسب ما يقتضيه الحال ، ومن أعظم صفاته تبارك وتعالى هذه الصفة التي كان يستغيث بها في سجوده ، ويقول : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك »^(٢) ، وهنا يُقسم بها ، والمُقَسَّم له يدري ما معنى المقسم به ، فيصدق بذلك ، ويمتلئ قلبه عظمة وإيماناً ، وتأخذه الدهشة والرعدة والخوف من جلال الله ، حيث إن هذا ليس لغيره ، ولا يجوز أن يوصف بهذه الصفة غيره ، فهو الذي يحول بين المرء وقلبه ، وهو الذي يقلب القلوب ، فيا مقلب القلوب علمنا أسماءك وصفاتك ، واهدنا بها ، واجعلها قرة لأعيننا ، ودواء لقلوبنا ، وأزل بها عنا مرض الشرك والشك والريب والتعطيل ، ولا تجعل لنا نصيباً في الفرقة المنحرفة عن منهاج أهل السنة والجماعة ، وارض اللهم عن إمامنا مالك ، الذي ربطنا بميراث نبيك ، وجعل موطنه منبعاً لأسمائك وصفاتك .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب النذور والأيمان/١٥] ، والبخارى [٦٦٢٨] .

(٢) رواه الترمذى [٣٥٢٢] ، وابن ماجه [١٩٩] .

ما جاء في التَّعوذ بكلمات الله

روى مالك عن يحيى بن سعيد قال : بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله ﷺ : إني أُرْوَع في منامي . فقال له رسول الله ﷺ : « قل : أعوذ بكلمات الله التامة ، من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون »^(١) .

التعليق : في هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله تعالى ؛ لأنه لو لم يكن الكلام من صفاته ما جاز الاستعاذة به ؛ لأن المعلوم عند علماء السلف أنه لا يجوز الاستعاذة إلا بالله وصفة من صفاته ، فلهذا ومثله قام علماء السلف رضي الله عنهم في وجه الجهمية ، الذين شاغبوا بكل شبهة باطلة ، فزعموا أن كلام الله مخلوق ، وبالتالي لو سلم لهم السلف هذه الدعوى الباطلة لكانت كل صفاته مخلوقة ، ومن كانت صفاته مخلوقة فهو مخلوق حتماً ، وبالتالي فلا إله ولا معبود ، وهكذا تؤدي هذه المناهج الضالة إلى الكفر لا محالة ، وهذه الصفة العظيمة قد أكثر الله في تمجيدها وذكرها ، وقد أكثر الرسول ﷺ التعلق بها والاستعاذة بها ، كما في هذا الحديث وأمثاله ، بل هي من رُقي الأنبياء قبل نبينا ﷺ ، فرضى الله عن الإمام مالك حيث أوقفنا على هذه الصفة الكريمة ، وشرف موطنه بذكرها ، فماذا يقول الجويني وأتباعه في إنكار أن الموطأ ليس فيه من أحاديث الصفات شيء .

ويستفاد من الحديث أيضاً صفة الغضب ، وقد تقدم الكلام عليها .

وقد روى مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رجلاً من أسلم قال : ما نمت هذه الليلة . فقال له رسول الله ﷺ : « من أي شيء ؟ » ، فقال : لدغتنى عقرب . فقال رسول الله ﷺ : « أما إنك لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . لم تضرك »^(٢) .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب الشعر/٩] ، ، وأحمد في المسند [٦/٦،٥٧/٤] .

(٢) رواه مالك في الموطأ [كتاب الشعر/١١] ، ومسلم [٢٧٠٩] .

وروى مالك أيضاً عن سُمَيٍّ مولى أبى بكر عن القعقاع بن حكيم أن كعب الأحبار قال : لولا كلمات أقولهن لجعلتنى يهوداً حماراً . فقليل له : وما هن ؟ فقال : أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شىء أعظم منه ، وبكلمات الله التامات ، لا يجاوزهن برّاً ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى كلها ، ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وبراً وذراً (١) .

(١) روا مالك فى الموطأ [كتاب الشعر/١٢] .

صفة الوجه

روى مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال : أسرى برسول الله ﷺ فرأى عَفْرِيَّتًا من الجن يطلبه بشعلة من نار ، كلما التفت رسول الله ﷺ رآه . فقال له جبريل : أفلا أعلمك كلمات تقولهن ، إذا قلتهم طفت شعلته وخرَّ لِفِيهِ ؟

فقال رسول الله ﷺ : « بلى » . فقال جبريل : فقل : أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء ، وشر ما يعرج فيها ، وشر ما ذرأ في الأرض ، وشر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ^(١) .

التعليق : هذا الحديث مرسل من جهة إسناده ، والذي يهمنا أن مالكاً قد اقتنع به ، وقد أدخله في موطئه للاحتجاج به ، والغرض منه إثبات صفة الوجه ، وهي من أعظم الصفات التي دفعها الجهمية بشبههم الباطلة ، وقد تكرر ذكرها في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ ، وأثبتها علماء السلف ، كما أثبتها الإمام مالك تبعاً لهم رضى الله عن الجميع ، والجهمية يفسرونها بالذات ، ويتهمون الله ونبيه بالعمى وعدم الفصاحة ؛ لأنه لم يستطع أن يقول : أعوذ بذات الله الكريمة ، وقال : أعوذ بوجه الله الكريم ، فجاء بالصفة المضافة إلى موصوفها وأكد ذلك بالنعته ، فلا أدري هل بعد هذا البيان من بيان ؟ وهل بعد هذه البلاغة من بلاغة ؟! فقبح الله بلاغة ثعلمنا دفع الأسماء والصفات بأنواع من المجازات التي أكثرها من المغالطات والمهاترات ، فلينتبه الشباب إلى حيل الجهمية من معتزلة وأشاعرة ، فإنها كثيرة متنوعة ، فتارة باسم المجاز وتارة باسم الاستعارة وتارة باسم الكناية ، وكل حالة لها جلبابها من الكذب والزور والبهتان ، نسأل الله السلامة والعافية .

وفي الحديث إثبات صفة الكلام ، وقد تقدمت فيما مضى .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب الشعر/١٠] وهو مرسل .

صفة الكف

روى مالك عن يحيى بن سعيد عن أبي الحُبَاب سعيد بن يَسَار أن رسول الله ﷺ قال : « من تصدق بصدقة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا طيباً ؛ كان إنما يضعها في كف الرحمن ، يُزْبِيها كما يُرْتَى أحدكم فُلُوهُ أو فصيله ، حتى تكون مثل الجبل »^(١) .

التعليق : هذا الحديث رواه مالك بطريق مرسل ، وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وإثبات صفة الكف لله تعالى ظاهرة فى الحديث ، فلا نعدل بها إلى تحريف وتعطيل الجهمية الذين نصبوا أنفسهم حرباً على أسماء الله وصفاته ، فهل الإمام مالك عدل عن هذه الصفة ولم يروها ، أو رواها وحرّفها ، أو أثبتها بروايته وأيدها بإقراره . ما فى الموطأ إلا الأخير ؟ وأما الأول فليس منهاجه ذلك .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الصدقة/١] وهو مرسل ، ولكن مجمع على صحته فهو عند البخارى [١٤١٠] ، ومسلم [١٠١٤] .

صفة العلو

روى مالك عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم أنه قال : أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، إن جارية لى كانت ترعى غنماً لى ، فجثتها وقد فقدت شاة من الغنم ، فسألتها عنها فقالت : أكلها الذئب . فأُسيِفْتُ عليها ، وكنت من بنى آدم ، فلطمت وجهها ، وعلى رقبة أفأعتقها ؟

فقال لها رسول الله ﷺ : « أين الله ؟ » ، فقالت : فى السماء . فقال : « من أنا ؟ » ، فقالت : أنت رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « اعتقها » (١) .

التعليق : هذا الحديث وغيره مما جاء فى الكتاب والسنة فى إثبات صفة العلو للواحد القهار ، وقد دفعها الجهمية بما لا معنى له ، وقد أُلّفَ فيها علماء كبار وجمعوا ما ورد فى ذلك من نصوص الكتاب والسنة ، وفى مقدمتهم الإمام العلامة ابن القيم فى كتابه : « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية » ، وقد نَظَمَ أدلة العلو فى نونيته العظيمة التى ما أُلّفَ مثلها فى عقيدة الفرقة الناجية .

وأُلّفَ فى ذلك الإمام الذهبى كتابه العظيم : « العلو للعلی الغفار » . وأُلّفَ علماء قبلهم مثل المقدسى وغيره ، ووضح هذه الصفة من أدلة الكتاب والسنة والفطرة والعقل واضحة ، لا وضح بعده ، إلا من أراد الضلال والحيرة والشك .

فلماذا أدخل الإمام مالك هذه الصفة فى موطئه ، وأين الجوينى والرازى وأضرابهم من الجهمية وذيولهم أوقفوا حياتهم على دفعها وردّها ؟!

وهل الإمام مالك كان يجهل هذه الصفة ؟ وأدخل عليه الرواة من الألفاظ ما يجعله مجسّماً أو عَليمَ باضطراب الحديث وضعفه وأدخله فى موطئه الذى تركه للأمة حجة بعده .

كل ذلك لم يكن ، فالحديث صحيح عند مالك وأئمة الحديث قبله وبعده ، وهو من أئمة العقيدة والفقه ، يعرف كل كلمة ومدلولها ، ويعرف كل جملة وسياقها ، فليُناد

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب العتق/٨] ، ورواه الشافعى فى الرسالة [٢٤٢] .

الجهمية على أنفسهم بالويل والثبور ، فإن أئمة السلف رضى الله عنهم شوكة فى
حلوقهم ، وسيبقى تلامذتهم من بعدهم واثقين بهذه الرسالة المباركة ، ذائين
مدافعين عن سنة رسول الله ﷺ جملة وتفصيلاً ، وهذا وعد من الله على لسان
رسوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم
ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله » (١) . والله المستعان .

(١) أخرجه البخارى [٧٤٥٩] .

صفة الضحك

روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« يضحك الله عز وجل إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة ؛
يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل فيستشهد »^(١) .

التعليق : هذه الصفة مما تواتر الحديث بها نقلاً عن رسول الله ﷺ ، وهي صفة تليق
بكمال الله وعظمته ، لا يتوهم فيها تشبيه ولا تكيف ما للمخلوق . فسيحان من
تنزه عن الكيفية والشبه بخلقه .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب الجهاد/٢٨] ، وابن عبد البر في التمهيد [٣٤٤/١٨]
والبخارى [٢٨٢٦] ، ومسلم [١٨٩٠] .

صفة العزة

روى مالك عن يزيد بن خصيفة أن عمرو بن عبد الله بن كعب السلمي أخبره أن نافع بن جبير أخبره عن عثمان بن أبي العاص أنه أتى رسول الله ﷺ . قال عثمان : وبي وجع قد كاد يهلكني ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « امسحه يمينك سبع مرات ، وقل : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » ، قال : فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل أمر بها أهلي وغيرهم (١) .

التعليق : هذه الصفة قد تكرر ذكرها في كتاب الله في عشرات الآيات ، وتكرر ذكرها على لسان رسول الله ﷺ ، وبؤب عليها الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في الكتاب الذي عقده للرد على الجهمية ، والإمام مالك من السلف الصالح الذين أثبتوها وذكروها في مؤلفاتهم ، فليصرخ الجهمية ولينادوا على أنفسهم بالجهل ؛ حيث زعموا أن مالكا والشافعي والثوري وأمثالهم لم يذكروا أحاديث الصفات ، فهل ترك الإمام مالك صفة من الصفات ، فمن قارن ما ذكرته في هذا البحث القيم يجده أكثر ما ذكره ابن خزيمة في توحيده ، والآجري في شريعته ، وغيرهم ممن أغضب الجهمية ، وعلى رأسهم الجويني وأتباعه ومحبه .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب العين/٩] ، والترمذي [٢٠٨٠] ، وأبي داود [٣٨٩١] .

صفة النظر

روى مالك فى موطئه عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « الذى يَجْرُ ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة »^(١) .
وروى عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا ينظر الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلى من يجر إزاره بطراً »^(٢) .
وروى عن نافع وعبد الله بن دينار وزيد بن أسلم ، كلهم يخبره عن عبد الله ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من يجر ثوبه خيلاء »^(٣) .

وروى عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أنه قال : سألت أبا سعيد الخدرى عن الإزار ، فقال : أنا أخبرك بعلم . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ، لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما أسفل من ذلك فى النار ، ما أسفل من ذلك فى النار ، لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جَرَّ إزاره بطراً »^(٤) .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب اللباس/٩] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [كتاب اللباس/١٠] ، والبخارى [٥٧٨٨] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [كتاب اللباس/١١] ، والبخارى [٥٧٨٣] ، ومسلم [٢٠٨٥] .

(٤) رواه مالك فى الموطأ [كتاب اللباس/١٢] ، ، وأبو داود [٤٠٩٣] ، وابن ماجه [٣٥٧٣] .

موقف مالك من المُشَبِّهة

ظاهرة التشبيه قديمة ، ظهرت مناقضة لظاهرة التعطيل فى أسماء الله وصفاته ، وأكثر الفرق التى اتصفت بها فرق الشيعة الأوائل ، قبل أن يكونوا معتزلة ، فرد السلف هذه الظاهرة الخبيثة ، ولعلها تفرعت من الحلول الصوفى الذى نشره دعاة الضلال ، ولهذا جاء كثيراً على لسان السلف : مَنْ شَبَّهَ اللهَ بخلقه فقد عبد صنماً ، وَمَنْ عطّل الله عن صفاته وأسمائه فقد عبد عدماً .

وكان الإمام مالك رضى الله عنه ممن شارك فى مواجهة هذه الطائفة الضالة .
قال ابن عبد البر فى التمهيد :

روى حرملة بن يحيى قال : سمعت عبد الله بن وهب يقول : سمعت مالك ابن أنس يقول : من وصف شيئاً من ذات الله مثل قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وأشار بيده إلى عنقه ، ومثل قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، فأشار إلى عينيه أو أذنيه أو شيئاً من بدنه ، قُطِعَ ذلك منه ؛ لأنه شبه الله بنفسه ، ثم قال مالك : أما سمعت قول البراء حين حدث عن النبى ﷺ قال : « لا يضحى بأربع من الضحايا » ^(١) وأشار البراء بيده كما أشار النبى ﷺ بيده ، قال البراء : ويدى أقصر من يد رسول الله ﷺ ، فكره البراء أن يصف رسول الله ﷺ ؛ إجلالاً له وهو مخلوق ، فكيف الخالق الذى ليس كمثله شىء ؟

قال أبو عمر : أخبرنا عبد الله بن محمد بن بكر حدثنا أبو داود حدثنا هارون ابن معروف حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب الضحايا/١] ، وأبو داود [٢٨٠٢] ، والترمذى [١٥٤٦] ، والنسائى [٤٠٧٤] ، وابن ماجه [٣١٤٤] .

قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا خلق الله ، فَمَنْ خَلَقَ الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله » (١) .

قال : وأخبرنا عبد الله ، حدثنا محمد ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن عمر ، حدثنا سلمة بن الفضل ، حدثني محمد بن إسحاق قال : حدثني عتبة بن مسلم مولى بن تميم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ فذكر نحوه ، قال : فإذا قالوا : فقولوا : ﴿ الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ، ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً ، ويستعد بالله من الشيطان الرجيم (٢) .

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [١٤٥/٧] ، وأخرجه مسلم [١٣٤] ، والبخارى [٣٢٧٦] بمعناه .

(٢) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [١٦٤/٧] .

موقفه من بدعة الإرجاء

لقد ساق الإمام مالك رحمه الله في كتابه الموطأ من الأحاديث التي ترد على المرجئة الدافعين لمذهب السلف ، والقائلين بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وأن العمل ليس جزءاً من الإيمان ، وموطؤه هذا ما أُلّفه إلا للرد على أهل البدع ، وهؤلاء منهم .

روى مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر على رجل وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإن الحياء من الإيمان » (١) .

التعليق : فهذا الحديث صريح في أن العمل جزء من الإيمان ، وهذا مذهب السلف الصالح قاطبة ، وهو مذهب الإمام مالك ، كما هو واضح من سياقه للحديث في موطئه ، وقد أخرج ابن بطة في الإبانة بالسند إلى سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الرزاق ، سمعت سفيان وابن جريج ومالكاً كلهم يقولون : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص (٢) .

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [٢٣٢/٧] ورواه مالك في الموطأ [كتاب حسن الخلق/١٠] ،

والبخاري [٢٤] ، ومسلم [٣٦] .

(٢) الإبانة لابن بطة [ص : ٧٠٠] .

وقد جاء فى تفسير القرطبى : وروى ابن وهب وابن القاسم وابن عبد الحكم وأشهب عن مالك فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال : صلاتكم ^(١) .

التعليق : فهذه النصوص صريحة عن الإمام مالك فى رده على المرجئة ودفع مذهبهم الفاسد ، الذى لازمه القعود عن العمل ، واستواء أبى بكر وعمر بأفجر الناس ، وهذا المذهب الخبيث قد انتشر فى كثير من الفئات والطبقات ، وتترس به كل قعيد عن العمل ، متكاسل فاسق فاجر ، تارك للصلاة ، شراب للخمر ، هاتك للأعراض ، كل هؤلاء يقولون : الإيمان فى القلب ، والعمل إنما مجرد ثمرة الإيمان ، وما تضرر المعصية إذا كان الإيمان ثابتاً فى القلب ، وهكذا جزأ هذا المذهب الخبيث كل فاسق وفاجر مضيع للفرائض والواجبات ، وفى شباب أهل السنة الكفاية فى بيان فساد هذا المذهب واستعانتهم بنصوص هؤلاء الأئمة الفحول .

(١) تفسير القرطبى [١٥٨/٢] .

موقف الإمام مالك من بدعة القدر

لقد ساق الإمام مالك رحمه الله في موطنه من الأحاديث ما فيه الكفاية للرد على هذه الفرقة الضالة المشاغبة ، التي مرت على المسلمين بسببها محن لا يعلمها إلا الله ، وما تزال ذيولها وأخطارها منتشرة في كتب المسلمين ومؤلفاتهم ، وفي أذهانهم وصفاتهم ، وقد بينت ذلك بحمد الله في قسم التحديات من كتابنا العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات ، وسنبداً في هذا الموقف بنقل أقوال الإمام مالك ومواقفه ، ثم نشئ بنقل الأحاديث من كتابه الموطأ .

جاء في الاعتصام : فمثل ما لا يقدر على رده ، ما حكى الباجي قال : قال مالك : لا تُمكن زائغ القلب من أذنك ، فإنك لا تدري ما يعلّقك من ذلك .

ولقد سمع رجل من الأنصار من أهل المدينة شيئاً من بعض أهل القدر ، فعلق قلبه ، فكان يأتي إخوانه الذين يستنصحهم ، فإذا نهوه قال : فكيف بما علق قلبي ، لو علمت أن الله يرضى أن ألقى نفسي من فوق هذه المنارة فعلت .

ثم حكى أيضاً عن مالك أنه قال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] فلا توادوهم^(١) .

التعليق : تأمل ماذا في هذا النص من الحكيم في مفارقة البدع والمبتدعة عامة ، والقدرية خاصة ؛ مفارقة جسدية ، وإبعاد الجوارح عن مشاهدتهم وعن السماع لأقوالهم ، وأنهم ممن يحادون الله ورسوله ، وأن الذي تسرب إليه شيء من بدعهم يرى أن إلقاء نفسه من أعلى المنارات ، إن كان كفارة له ، فعل ، فكيف بحالنا نحن الذين نعيش المبتدعة ونستحسن بدعهم ونقرهم عليها ونؤيدهم ، ونشاركهم ونفرح بهم ، ولقاؤنا معهم ودخولهم إلى بيوتنا نعتبره تشريقاً ، ونجمعهم من حين إلى آخر قصد الصلة والمزاورة والدعاء ، فأين هذا من مذهب الإمام مالك ، وما يروى عنه ، ودعوته إلى مفارقة المبتدعة ؟! وإنهم زائغون مفارقون للكتاب والسنة ، محادون لله ورسوله . والله المستعان .

(١) كتاب الاعتصام [١٣١/١] .

جاء فى أصول الاعتقاد : قال عبد الله بن أحمد عن أبيه أحمد بن حنبل ، أنه قال : كان ثور بن يزيد الكلاعى كان يرى القدر ، وكان من أهل حمص ، فأخرجوه ونفوه ؛ لأنه كان يرى القدر .

قال : وبلغنى أنه أتى المدينة فقيل لمالك : قد قدم ثور . فقال : لا تأتوه . فقال : لا يُجْتَمَع عند رجل مبتدع فى مسجد رسول الله ﷺ (١) .

التعليق : انظر إلى هذا الوعى الذى كانت عليه أمة محمد ﷺ فى قرونها السابقة ، تتفق بلدة بأكملها على طرد مبتدع ونفيه ، خوف أن يسرب بدعته إلى المسلمين ، وأن يلبسهم بها ويشق لنفسه طريقاً يجمع عليه جماعة من المبتدعة وهذه هى الأمة الواعية التى تعتنى بعقيدتها وسنتها وكتابها ، أما الأمة الغافلة الساهية السائمة السارحة ، التى تقام فيها الفرق الضالة المحادة لله تعالى ولرسوله ﷺ على اختلاف أنواعهم ومذاهبهم وتصوراتهم ، وتعطى حق المشروعية وتفتح المراكز فى كل جهة وناحية ، أمة لا خير فيها ، لا غيرة لها على دينها ، بل هى كالأنعام ، بل أضل . وأما الإمام مالك فحذر أمة محمد ﷺ من أن يجتمعوا على مبتدع فى مسجد النبى ﷺ . لو أدرك الإمام مالك زماننا هذا ، ورأى جميع أنواع البدع والمبتدعة تجتمع فى ديار المسلمين ومساجدهم ، إلا من شاء الله ، وقليل ما هم ، ما أدرى ماذا سيقول ؟! وثور ابن يزيد كان من كبار المحدثين ، وله روايات كثيرات ومع ذلك لم تشفع له ولم يُقبل بسبب بدعته فى القدر ، وأما أهل هذا الزمان ، فلا رواية ولا حديث ولا فقه ولا علم ، وإنما هى الحيل والدجل والتأكل بدين الله لا غير ذلك .

(١) أصول الاعتقاد [ص : ٧٢٤] .

وجاء في السنة لابن أبي عاصم : قال : حدثنا سلمة ، حدثنا مروان بن محمد ، قال : سمعت مالك بن أنس يسأل عن تزويج القدرى ، فقرأ : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ﴾ ^(١) [البقرة : ٢٢١] .

التعليق : هذا حكم الإمام مالك على القدرى ، وأنه لا يُزَوِّج ، وأن مكانته بمكانة المشرك ، فلذا لا ينبغي للمسلم أن يدفع بابنته أو قريته إلى مبتدع ، يلطخها بيدعته وينجسها بعقيدته الباطلة ، فمفارقة المبتدعة عند الإمام مالك فى كل شيء .

(١) السنة لابن أبي عاصم [٨٨/١] .

وجاء في أصول الاعتقاد : قال لى عمر بن عبد العزيز : ما تقول فى القدريّة ؟
قال : قلت : أرى أن نستتيهم ، فإن تابوا وإلا عرضتهم على السيف . قال عمر :
ذلك رأى . قال أبو مسهر : قلت لمالك : يا أبا عبد الله ، وهو رأيك ؟ قال :
نعم (١) .

التعليق : هكذا يوافق الإمام مالك ، ويؤكد حكم عالين إمامين قبله فى استتابة
القدريّة ، فإن تابوا وإلا عرضوا على السيف ، وهذه الطريقة المحمودّة وهذا الحكم
النابع من الكتاب والسنة هو طريق يحافظ به على كيان الإسلام وأصوله ، ويحمى
من كل زنديق يريد أن يضلّل المسلمين فى عقيدتهم ، وما أكثرهم فى السابق
واللاحق ، فحماية دين الله أصوله وفروعه فرض على أئمة المسلمين وعامتهم ،
فلا تدين إلا بالكتاب والسنة ، ولا حكم إلا للكتاب والسنة ، فماذا سيقول الإمام
مالك لو أدرك هذا الزمان الذى أبعد فيه الكتاب السنة عن ساحة الحكم ؟ واستبدل
بقوانين وضعيّة كافرة لا يد لمسلم فى وضعها ومخالفتها للمعلوم من الدين بالضرورة
عند المسلمين أمر واضح ، فأبو سهل وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس كان حكم
الله فى عهدهم قائماً ، وشريعته هى منهج القضاء والحكام ، ومع ذلك أضدروا هذا
الحكم الذى فيه إزهاق الأرواح ، وإراقة الدماء ، وهذا لا يكون إلا بنص قائم صريح ،
ولكن لما لهؤلاء من خطر على دين الله وعلى عقيدة المسلمين فى ذلك الوقت
فلو تركوهم لعثوا فى الأرض فساداً ، فمن حسن حظ تلك الأمة أن هيا الله لها
أمثال هؤلاء العلماء ، الذين وقفوا مثل هذه الوقفات ، وأقاموا للعقيدة السلفية
أعلامها ، وحاربوا كل بدعة أرادت أن ترفع رأسها ، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةُ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

(١) أصول الاعتقاد [٢/٦٨٥] ، وذكره مالك فى الموطأ [القدر/٦] .

ما رواه مالك في الموطأ في الرد على القدرية

ونرجع إلى سياق الأحاديث التي وردت في الموطأ في الرد على القدرية . قال :

كتاب القدر : باب النهي عن القول بالقدر

○ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تحتاج آدم وموسى فحج آدم موسى ، قال له موسى : أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالة ؟ قال : نعم . قال : أفتلومني على أمر قد قدر عليّ قبل أن أخلق » (١) .

○ وروى عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها ، فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ يَمِينَهُ ، اسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ، فَقَالَ : خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ . ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ : خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ . فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَفِيمَ الْعَمَلُ ؟ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهُ بِهِ الْجَنَّةُ . وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهُ بِهِ النَّارُ » (٢) .

(١) رواه مالك في الموطأ [القدر/١] ، وأخرجه البخارى [٦٦١٤] ، ومسلم [٢٦٥٢] .

(٢) رواه مالك [٨٩٩] ، وأبو داود [٤٧٠٣] ، والترمذى [٣٠٧٥] ، والنسائى فى الكبرى [٣٤٧/٦] .

○ وقال مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني أنه قال : أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : كل شيء بقدر . قال طاوس : وسمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر ، حتى العجز والكيس ، أو الكيس والعجز »^(١) .

○ وروى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسأل المرأة طلاقَ أختها ؛ لتستفرغ صحتها ، ولتنكِح ؛ فإنما لها ما قُدِّر لها »^(٢) .

○ وروى مالك عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال معاوية ابن أبي سفيان وهو على المنبر : أيها الناس إنه لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطى لما منع الله ، ولا ينفع ذا الجدِّ منه الجد ، من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين . ثم قال معاوية : سمعت هؤلاء الكلمات من رسول الله ﷺ على هذه الأعواد^(٣) .

○ وعن مالك ، أنه بلغه أنه كان يقال : الحمد لله الذي خلق كل شيء كما ينبغي ، الذي لا يُعْجَل شيءُ أُنْأه وقْدَره ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله مرمى^(٤) .

○ وعن مالك أنه بلغه أنه كان يقال : إن أحدًا لن يموت حتى يستكمل رزقه ، فأجملوا في الطلب^(٥) .

كل هذه الأحاديث من كتاب القدر^(٦) .

(١) رواه مالك في الموطأ [القدر/٤] ، ومسلم [٢٦٥٥] .

(٢) رواه مالك في الموطأ [القدر/٧] ، والبخاري [٦٦٠١] .

(٣) رواه مالك في الموطأ [القدر/٨] .

(٤) رواه مالك في الموطأ [القدر/٩] .

(٥) رواه مالك في الموطأ [القدر/١٠] وجاء مرفوعًا عن جابر عند ابن ماجه [٢٦٤٤] .

(٦) من كتاب الموطأ .

وهكذا يسوق الإمام مالك هذه الأحاديث ، وكل حديث منها يحتاج إلى وقفة طويلة ، وقد تكفل أبو عمر بن عبد البر بشرحها ، والذي يهمنا أن مالكا يدفع بدعة القدرية في كتابه الموطأ ، ويعقد لها كتابا خاصا مبوّبا بأبواب عديدة .
والحمد لله رب العالمين .

موقف مالك من الخوارج

قلت : أرأيت قتال الخوارج ، ما قول مالك فيهم ؟ قال : قال مالك فى الإباضية والحرورية وأهل الأهواء كلهم : أرى أن يُستتابوا ، فإن تابوا وإلا قُتلوا .
قال ابن القاسم : وقال مالك فى الحرورية وما أشبههم : إنهم يقتلون إذا لم يتوبوا ، إذا كان الإمام عدلاً . فهذا يدل على أنهم إن خرجوا على إمام عدل ، وهم يريدون قتاله ، ويدعون إلى ما هم عليه ، دُعوا إلى الجماعة والسنة ، فإن أبوا قتلوا ، قال : لقد سألت مالكاً عن أهل العصبية الذين كانوا بالشام ، قال مالك : أرى للإمام أن يدعوهم إلى الرجوع ، وإلى مناصفة الحق بينهم ، فإن رجعوا وإلا قتلوا .

قلت : أرأيت الخوارج إذا خرجوا فأصابوا الدماء والأموال ثم تابوا ورجعوا ؟ قال : بلغنى أن مالكاً قال : الدماء موضوعة عنهم ، وأما الأموال فإن وجدوا شيئاً عندهم بعينه أخذوه ، وإلا لم يُتَبَعوا بشيء من ذلك ، وإن كانت لهم الأموال ؛ لأنهم إنما استهلكوها على التأويل وهذا الذى سمعت .

قلت : فما الفرق بين المحاربين والخوارج فى الدماء ؟ قال : الخوارج خرجوا على التأويل ، والمحاربين خرجوا فسقاً وخلوعاً على غير تأويل ، وإنما وضع الله عن المحاربين إذا تابوا حد الحراة ، حق الإمام ، وأنه لا يوضع عنهم حقوق الناس ، وإنما هؤلاء الخوارج قاتلوا على دين يرون أنه صواب .

قلت : أرأيت قتلى الخوارج أَيْصَلَّى عليهم أم لا ؟ قال : لا ، قال لى مالك فى القدرية والإباضية : لا يُصَلَّى على موتاهم ، ولا تتبع جنازتهم ، ولا تعاد مرضاهم ، فإذا قتلوا فذلك أحرى ألا يصلى عليهم . ثم ذكر أثراً عن ابن عباس عن ابن وهب عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبى يزيد قال : ذكرت الخوارج واجتهادهم عند ابن عباس قال : فسمعتة يقول : ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى ثم

هم يضلون . وذكر الأحاديث والآثار في ذمهم ، ثم قال مالك عن عمه أبي سهيل ابن مالك قال : سألتني عمر بن عبد العزيز وأنا معه : ماذا ترى في هؤلاء القدرية ؟ قال : قلت : استتبهم ، فإن تابوا وإلا فاعرضهم على السيف . قال عمر : وأنا أرى ذلك . قال مالك : ورأيت على ذلك^(١) .

التعليق : وهكذا نقرأ هذه النصوص من مصادرنا عن الإمام مالك الذي ترك لنا هذه القواعد وهذه الفتاوى ، النابعة عن خبرة بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ في التعامل مع الخوارج ، وهم كل من خرج عن منهاج أهل السنة والجماعة ، المقتفين لآثاره ﷺ ، والمتمسكين بكتابه ، غير مُفَرِّطِينَ ولا مُفَرِّطِينَ ، فمن خرج على ذلك وابتدع في الإسلام بدعاً اعتبرها ديناً يدعى إلى المحاورة وإلى الأخذ والرد وإزالة ما علق ذهنه أو ذهنهم من الشبه ، فإن رجع أو رجعوا وإلا غرضوا على السيف ، كما هو ظاهر قول مالك رحمه الله ، وإلا استشرت الفتن وادعى كل جاهل أنه صاحب حق . وهذا ما هو حادث في هذه الأزمان ، هذه جماعة التكفير والهجرة التي عمت فتنها البلاد الإسلامية ، وغيرها جماعات كثيرات من هذا النوع ، تظهر من حين إلى آخر . قلت معرفتها بالدليل وخسبت التمسك ببعض الظواهر هو الإسلام ، وأعرضت عن دراسة السنة والعقيدة وحفظ كتاب الله وتبعية الآثار السلفية والتراجم القيمة التي سجلها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم . يا رب رُدْ أمة محمد واهدهم أقوم الطريق ، وخذ بيدهم ، وهبْ لهم علماء الكتاب والسنة ، إنك سميع مجيب .

(١) رواه مالك في الموطأ [كتاب القدر/٦] .

وجاء في الموطأ : عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرءون القرآن ولا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، تنظر في النصل فلا ترى شيئاً ، وتنظر في القدح فلا ترى شيئاً ، وتنظر في الریش فلا ترى شيئاً ، وتتمارى في الفوق » (١) .

التعليق : وهذا الحديث الذى أورده الإمام مالك فى موطئه من عجيب آيات النبوة ، فإن هذا الوصف الذى ذكره رسول الله ﷺ ينطبق تمام الانطباق على كثير من المبتدعة ، تشاهدهم كثيرون الصلاة ، كثيرون الحج والعمرة ، كثيرون البذل للمال ، ولكن مع هذا ما عندهم من الإسلام شعرة واحدة ، فسبحان من اختار نبينا ﷺ وأنطقه بالنبوة ، وكما وصف الله تبارك وتعالى العابدين الخاشعين ، ولكن لما لم يكن عندهم عقيدة صحيحة واتباع لنبينا ﷺ فإنهم يصلون جهنم : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۖ وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۖ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۖ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ۖ ﴾ [الغاشية] فالحديث ينطبق مع الآية ويسير بحذوها ، وهو تفسير لها ، فمبتدعة الخارجين عن أهل السنة والجماعة حظهم من الإسلام كما يتبن رسول الله ﷺ ، فالميزان هو الميزان النبوى ، فأى عبادة وعمل لا ينبنيان على ذلك ، فيرجع إلى هذا الحديث ، فخلوات الصوفية وتعبداتهم بالأذكار المبتدعة والطرق المخترعة وإحداثهم فى دين الله ما ليس منه ، فكله من هذا الباب .

(١) رواه مالك فى الموطأ [كتاب القرآن/١٠] ، والبخارى [٣٣٤٤] ، ومسلم [١٠٦٤] .

موقف مالك من المقلدة

هذه البدعة التى فرقت شمل المسلمين وأحدثت تصدعاً فى وحدتهم ، وجعلتهم يعيشون متعادين متنازعين طيلة قرون عديدة ، وأبعدتهم عن الدليل وجعلتهم يعيشون فى مسائل خيالية ، ما أنزل الله بها من سلطان ، هذه البدعة المذهبية تُذرع بها السياسيون والحكام وجعلوها مطية لحكمهم ، وقد بينت فى قسم التحديات من كتاب العقيدة السلفية فى مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات تاريخ المذهبية ومن قام على إحداثها وتثبيتها ، والذى يهمنى هنا هو بيان موقف الإمام مالك رضى الله عنه ، فإنه تبرأ من التقليد وآل على نفسه إلا أن يقدم الكتاب والسنة ، وما خالف ذلك يضرب به عرض الحائط .

جاء فى إيقاظ همم أولى الأبصار : وعن ابن وهب قال : قال مالك : الحكم حكمان : حكم جاء به كتاب الله ، وحكم أحكمته السنة . قال : ومجتهد رأيه فلعله يوفق . قال : ومتكلف فطعن عليه .

وقال حاكياً عن ابن عبد البر : وأخرج بسنده إلى ابن وهب ، قال : قال لى مالك : الحكم الذى يحكم بين الناس حكمان : ما فى كتاب الله ، أو حكمته السنة ؛ فذلك الحكم الواجب وذلك الصواب ، والحكم الذى يجتهد فيه العالم رأيه فلعله يوفق . وثالث متكلف ، فما أحرأه ألا يوفق .

وقال مالك : الحكمة والعلم نور يهذى به الله من يشاء ، وليس بكثرة المسائل . وقال فى موضع آخر من ذلك الكتاب : ليس الفقه بكثرة المسائل ، ولكن الفقه يؤتیه الله من يشاء من خلقه .

وقال ابن وضاح : وسئل سُحنون : أيسع العالم أن يقول : لا أدري فيما يدري ؟ فقال : أما ما فيه كتاب قائم أو سنة ثابتة فلا يسعه ذلك ، وأما ما كان من هذا الرأى ؛ فإنه يسعه ذلك ؛ فلأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطئ .

قلت : هكذا ورث مالك تلامذته في التمسك بالسنة والكتاب والتشكك في
الرأى والظن به ، فما بالك بمن يترك سنة ثابتة رُويت من عدة طرق ، أو آيات
قرآنية ثبتت عن الله ، لتقليد فلان أو غيره ، فلا شك أن هذا مخالف لمذهب مالك
وأصحابه ، فمذهب مالك وأصحابه رضى الله عنهم هو الاقتداء بالسنة ،
وما خالف ذلك ، فلا عبرة به ولا ينبغي أن يلتفت إليه .

وذكر ابن وهب في كتاب العلم من جامعه ، سمعت مالكا يقول : إن العلم
ليس بكثرة الرواية ولكنه نور يجعله الله في القلوب .

وقال في موضع آخر من ذلك الكتاب : وقال مالك : العلم والحكمة نور يهدي
به الله من يشاء ، وليس بكثرة المسائل ^(١) .

وجاء في موضع آخر قال : حدثنا شيخنا المعمر وبركتنا المدخر محمد بن محمد
ابن محمد سنة حدثنا محمد بن عبد الله الشريف عن محمد بن أركماش الحنفى
أخبرنا أبو الفضل الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى عن أبى إسحاق
إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التنوخى سماعا عن أبى محمد بن أبى غالب
ابن عساكر عن أبى الحسن بن المقبر عن أبى الفضل بن ناصر عن أبى عبد الله
محمد ابن فتوح الحميدى عن الحافظ أبى عمر بن عبد البر ، حدثنا عبد الله بن محمد
ابن عبد المؤمن قال : حدثنا أبو عبد الله بن محمد بن أحمد القاضى المالكى حدثنا
موسى بن إسحاق قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر قال : أخبرنا معن بن عيسى قال :
سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا فى رأى فكل
ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .

قال وبه إلى أبى عمر : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن
سعيد قال : حدثنا عبد الملك بن حجر قال : حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ

(١) إيقاظ همم أولى الأبصار [ص : ٢٤] .

حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا مطرف قال : سمعت مالكا يقول : قال لى ابن هرمز : لا تمسك على شىء فيما سمعت منى من هذا رأى ، فإنما افتجرتة أنا وريعة ، فلا تمسك به .

وقال سند بن عنان فى شرحه على مدونة سُحنون المعروفة بالأُم ، ما نصه : والفقه مأخذه الكتاب والسنة والإجماع والعبرة ، ولما كان الاستقلال بعلم الفروع مستندا على أمرين لا بد منهما .

أحدهما : معرفة مذاهب أهل العصر من أهل الفقه والعقد والحل .

والثانى : معرفة أصول الفقه والتصرف فيها برد الفروع إلى الأصول .

فالأول : كان شرطاً ليأمن المتصرف من فرق الإجماع ، وينهج منهاج الاقتداء والاتباع ، والثانى : كان شرطاً لتحصيل العلم ؛ لأن العلم لا يحصل إلا بطريقه ؛ لأنه لا يثبت ضرورة إذ لو ثبت ضرورة لاستوى الكافة فيه ، وما لا يثبت ضرورة ، فإنما يثبت نظراً ، ولما كانت الشريعة مستندة إلى الرسول ﷺ وجب أن يكون النظر فيما جاء عن رسول الله ﷺ والذي جاء عنه نوعان : أقوال مسموعة ، وأحكام موضوعة ، والذي نقل من الأقوال فثان : القرآن والسنة ، فوجب النظر فيهما بالاستنباط والاستخراج ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] .

وقد يوجد الوفاق من أهل الآفاق على حكم ما ، وإن لم يلق فى كتاب الله ولا سنة نبيه عليه نص ، فيكون الوفاق طريقاً إلى إثباته ، لأننا نعلم أن العقلاء فى مجارى العبادات مختلفو الرتب والدرجات فى قوة الفراغ وميل الأغراض ، ويتفاوتون فى سبل النظر وتسديد الفكر ، فيبعد عادة أن يتفق الجُم والجمع الكثير فى مسألة فرعية ، إلا أن توفيره هذا برهان القطع بحجة الإجماع .

وفى الجملة إن العمل بالإجماع يرجع إلى العمل بالنص ؛ لأن الإجماع إنما يتضمن الحجة ، ووجهه ما بيناه ، أو يكون هو فى نفسه حجة ، فيستند إثباته إلى

السمع فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .
وفى قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين »^(١) وفى البخارى :
« ولن تزال هذه الأمة قائمة على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله »^(٢) . إلى أن قال : أما مجرد الاختصار على محض التقليد فلا يرضى به رجل رشيد ، ولنا نقول : إنه حرام على كل فرد ، بل نوجب معرفة الدليل وأقاويل الرجال ، ونوجب على العام تقليد العالم .

قال معلقه : الحق الذى يجب على كل ناصح لدينه وأمه أن يهدم التقليد الأعمى من أساسه ، وبكل أشكاله وألوانه ، وعلى كل عالم أن يبين وجه ما يفتى به فى الأحكام الشرعية لمن يستفتيه ، وأن يذكر له دليل ذلك من الكتاب والسنة ، حتى يتعود الناس بجميع طبقاتهم فهم النصوص ، فإن سوق الأحكام بدون إسنادها بأدلتها عوّد عقول الناس الركود والجمود الدينى ، حتى أصبحت تراه أثقل من حمل الجبال مع أنه أيسر اليسر . انتهى^(٣) .

وجاء فى التمهيد لأبى عمر بن عبد البر فى ترجمة ربيعة بن أبى عبد الرحمن المدنى صاحب رأى : وكان يذكر مع جُلَّةِ التابعين فى الفتوى بالمدينة ، وكان مالك يفضلّه ويرفع به ويشئى عليه فى الفقه والفضل ، على أنه ممن اعتزل حلقة لاغراقه فى رأى^(٤) .

(١) أخرجه مسلم [١٥٦] .

(٢) أخرج البخارى [٧٤٦٠] .

(٣) إيقاظ همم أولى الأبصار [ص : ٧٣] .

(٤) التمهيد لابن عبد البر [٢/٣] .

وجاء فى السير : قال الذهبى عن ابن سعد : حدثنا محمد بن عمر ، سمعت مالكا يقول : لما حج المنصور دعانى فدخلت عليه فحدثته وسألنى فأجبتة فقال : عزمت أن أمر بكتبك هذه ، يعنى الموطأ فتتسخ نسخا ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة ، وأمرهم أن يعملوا بما فيها ، ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث ، فإنى رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم ، قلت : يا أمير المؤمنين ، لا تفعل فإن الناس قد سيقوا إليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، وعملوا به ، ودانوا به من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم ، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد ، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم ، فقال : لعمرى لو طأعتنى لأمرت بذلك (١) .

التعليق : فرحمة الله عليك يا مالك يا إمام الأئمة ، ويا ناصح الأمة ، لم تأخذك نشوة الغرور وحاشاك من ذلك ، فسطع أمامك الحجة والبيان ، وعلمت أن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا فى الأمصار وأخذ عنهم التابعون علومهم ، وأتباع التابعين ، وعرفت قدرك ، وأنت لم تحط بكل شئ علما ، وأردت أن تبقى سنة رسول الله ﷺ وكتابه هما المنار ، لكن لبغضك لتقليد الرجال وتقديس الأشخاص القدسية التى لا تكون إلا للنصوص منعت حاكم وقته ، الذى كان يحب العلم والعلماء ويقرهم ويجلهم ، من أن يرغم الناس على كتابك ، وهذه ستبقى من مناقبك ، تعرفها لك الأجيال .

فمالك رحمه الله يمنع التقليد ويأباه ، وسيرته رضى الله عنه وأقواله وأفعاله كافية فى معرفة موقفه فى هذا الباب ، وما سقناه من أقواله وأقوال بعض أصحابه ، وأعرف الناس به ، فيه كفاية لمن اعتبر ، فترجو الله تعالى أن يلهمنا الصواب والرشد فى أقوالنا وأفعالنا .

(١) سير أعلام النبلاء [٧٩/٨] .

أحاديث الرؤيا فى موطأ مالك

هذا الأصل صحت به الأخبار عن النبي ﷺ وأجمع عليه علماء أهل السنة والجماعة ، ومن بينهم الإمام مالك الذى عقد له كتاباً فى موطئه ، وساق فيه من الأحاديث ما سأذكره ، إن شاء الله ، وأنكره الملاحدة وشذاذ المعتزلة والطبيعيون ، ولا قيمة لخلاف هؤلاء مع صحة النص به عن رسول الله ﷺ .

روى مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »^(١) .

التعليق : وليس معنى هذا أن الذى يرى الرؤيا الحسنة أن عنده جزءاً من النبوة ، ولكن الشبه فى صدق الرؤيا ، ولا شك أن هذا فى عالم الغيب ، فيجب علينا أن نصدق بما أخبرنا به رسول الله ﷺ .

وروى أيضاً عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن زُفر بن صعصعة عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول : « هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ؟ » ويقول : ليس يبقى بعدى من النبوة إلا الرؤيا الصالحة »^(٢) .

التعليق : فهذا يدل على أن تأويل الرؤيا كانت من الأمور المهمة التى كان يعتنى بها رسول الله ﷺ ، فيسأل أصحابه : هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ؟ وهذا لا يُعجب هؤلاء الملاحدة الذين يردون ما صح عن رسول الله ﷺ من الأخبار .

(١) رواه مالك فى الموطأ [الرؤيا/١] ، والبخارى [٦٩٨٣] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [الرؤيا/١] ، ووصله البخارى [٦٩٩٠] .

○ وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال : سمعت أبا قتادة بن ربعي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم الشيء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ ، وليتعوذ بالله من شرها ، فإنها لن تضره إن شاء الله » ، قال أبو سلمة : إن كنت لأرى الرؤيا هي أثقل عليّ من الجبل ، فلما سمعت هذا الحديث ما كنت أبا إليها (١) .

وروى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه ، أنه كان يقول في هذه الآية : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [يونس : ٦٤] .

قال : هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له (٢) .
وجاء في التمهيد : وقيل لمالك رحمه الله : أيعبر الرؤيا كل أحد ؟ فقال : أبالنبوة يلعب !؟ وقال مالك : لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها ، فإن رأى خيراً خبر به وإن رأى مكروها فليقل خيراً أو ليصمت . قيل : فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه لقول من قال : إنها على ما أولت عليه . فقال : لا . ثم قال : الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة (٣) .

التعليق : هذه هي العقيدة التي كان يتصف بها سلفنا الصالح في ظاهرهم وباطنهم ، فما جاءهم عن الله تعالى أو عن الرسول ﷺ إلا بادروا بتصديقه واستراحوا به في يقظتهم ومنامهم ، فهنيئاً لهم بهذا اليقين وبهذا التطبيق العملي لسنة رسول الله ﷺ ، فأبو سلمة بن عبد الرحمن استراح من عناء الرؤيا بعد سماعه لهذا الحديث وروايته له . اللهم اجعلنا على منهجهم ، ولا تخالف بنا عن طريقهم .

(١) رواه مالك في الموطأ [الرؤيا/٤] ، والبخارى [٥٧٤٧] ، ومسلم [٢٢٦١] .

(٢) رواه مالك في الموطأ [الرؤيا/٥] .

(٣) كتاب التمهيد [٢٨٨/١] .

عقيدة الإمام مالك فى الملائكة

لا يشك مسلم فى أن الإيمان بالملائكة هو الركن الثانى من أركان الإيمان الذى لا يتم إيمان المسلم إلا بها ، ولذا كان هذا الأصل التصديق به معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، وقد ذكر الإمام فى موطئه من أحاديث الملائكة ، فرأيت أن أنقله للقارئ حتى يقرأ عقيدة الإمام مالك كاملة من سنة رسول الله ﷺ ، ويعلم بأن الأئمة هدايتهم هى السنة وفهمهم وعلمهم مقتبس من السنة ، وما خالف ذلك أمروا بطرحه والإعراض عنه .

روى مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوماً ، فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوماً وهو بالكوفة ، فدخل عليه أبو مسعود الأنصارى فقال : ما هذا يا مغيرة ، أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى فصلى رسول الله ﷺ . ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ . ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ . ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ . ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ . ثم قال : « بهذا أمرت » ؟! فقال عمر بن عبد العزيز : أعلم ما تحدث به يا عروة ، أو أن جبريل هو الذى أقام لرسول الله ﷺ وقت الصلاة ؟ قال عروة : كذلك كان بشير بن أبى مسعود الأنصارى يحدث عن أبيه ^(١) .

وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول : من صلى بأرض فلاة ، صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك ، فإذا أذن وأقام الصلاة - أو أقام - صلى وراءه من الملائكة أمثال الجبال ^(٢) .

(١) رواه مالك فى الموطأ [وقوت الصلاة/ ١] ، والبخارى [٥٢١] ، ومسلم [٦١٠] .
(٢) رواه مالك فى الموطأ [الصلاة/ ٣] وهو مرسل له حكم الرفع ، فقد روى موصولاً ومرفوعاً .

وروى مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن
أنهما أخبراه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أَمَّن الإمام فأمنوا ، فإنه
من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه »^(١) .

وروى مالك عن سمى مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان
عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من اغتسل يوم الجمعة غُسلَ الجنابة ثم
راح في الساعة الأولى فكأنما قَرَّبَ بَدَنه ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قَرَّبَ
بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قَرَّبَ كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة
الرابعة فكأنما قَرَّبَ دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قَرَّبَ بيضة ، فإذا
خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر »^(٢) .

وروى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« الملائكة تصلى على أحدكم ما دام في مُصَلَّاه الذي صلى فيه ، ما لم يُحْدِث ،
اللَّهُمَّ اغفر له ، اللَّهُمَّ ارحمه »^(٣) .

وروى أيضاً عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة العصر
وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم
عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون »^(٤) .

(١) رواه مالك في الموطأ [الصلاة/باب ما جاء في التأمين خلف الإمام] ، والبخارى [٧٨٢] ،
ومسلم [٤١٠] .

(٢) رواه مالك في الموطأ [الجمعة/١] ، والبخارى [٨٨١] ، ومسلم [٨٥٠] .

(٣) رواه مالك في الموطأ [قصر الصلاة/٥١] ، والبخارى [٦٥٩] ، ومسلم [٦٤٩] .

(٤) رواه مالك في الموطأ [قصر الصلاة/٨٢] ، والبخارى [٥٥٥] ، ومسلم [٦٣٢] .

وروى مالك عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبد الله بن أبي كرز أن
رسول الله ﷺ قال : « ما أرى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدهر ولا أحقر
ولا أغیظ منه فی يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن
الذنوب العظام ، إلا ما أرى يوم بدر . قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟
قال : أما إنه قد رأى جبریل یزع الملائكة » (١) .

(١) رواه مالك في الموطأ [الحج/٢٤٥] وهو مرسل .

عقيدته فى الشياطين والجن

الإمام مالك كغيره من أئمة السلف رضى الله تعالى عنهم ، يؤمن بما أخبر الله به وبما أخبر به رسول الله ﷺ من ذكر الشياطين والجن ، وهذا أمر مسلم عند الجميع ، وقد أكثر القرآن وأكثر السنة من ذكر ذلك ، وقد جاء فى الموطأ من الأخبار ما يدل على عقيدة الإمام مالك ، وأنه لا يفارق النصوص ولا يحيد عنها . والذين أنكروا هذه الأصول المعلومة عند المسلمين بالضرورة ليس عندهم إلا وساويس وشبه كاذبة ، لا مستند لها ، لا من عمل ولا من نقل ، وإليكم بعض النماذج التى ذكرها الإمام مالك فى موطئه :

روى مالك عن زيد بن أسلم أنه قال : عرّس رسول الله ﷺ ليلة بطريق مكة ، ووكل بلالاً أن يوقظهم للصلاة ، فرقد بلال وركدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس ، فاستيقظ القوم وقد فزعوا ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى وقال : « إن هذا واد به شيطان » فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى ، ثم أمرهم رسول الله ﷺ أن ينزلوا وأن يتوضئوا ، وأمر بلالاً أن ينادى بالصلاة ، - أو يقيم - فصلى رسول الله ﷺ بالناس ، ثم انصرف إليهم وقد رأى من فزعهم ، فقال : « يا أيها الناس ، إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا فى حين غير هذا ، فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع إليها فليصلها كما يصلها فى وقتها » . ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أبى بكر فقال : « إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلى فأضجعه ، فلم يزل يهدّئه كما يهدأ الصبى حتى نام » ثم دعا رسول الله ﷺ بلالاً فأخبر بلالاً رسول الله ﷺ مثل الذى أخبر رسول الله ﷺ أباً بكر ، فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله (١) .

(١) رواه مالك فى الموطأ [وقوت الصلاة : ٢٦] وهو مرسل .

وروى أيضًا عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط ؛ حتى لا يسمع النداء ، فإذا قُضى
النداء أقبل حتى إذا تُؤب بالصلاة أدبر ، حتى إذا قُضى التَّوْبِيبُ أقبل ، حتى يَخْطُرَ
بين المرء ونفسه يقول : اذكر كذا ، اذكر كذا ، لِمَا لم يكن يذكر ، حتى يظل
الرجل إن يدرى كم صلى » (١) .

وروى مالك عن محمد بن عمر بن علقمة عن مَالِیح بن عبد الله السعدي عن
أبي هريرة أنه قال : الذي يرفع رأسه ويخفضه قبل الإمام ، فإنما ناصيته بيد
شيطان » (٢) .

وروى مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي
هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا قام يصلي جاءه الشيطان فلبس
عليه ، حتى لا يدرى كم صلى ، فإذا وجد أحدكم فليسجد سجدةً وهو
جالس » (٣) .

وروى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل
عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ
انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطًا طيب النفس ، وإلا أصبح
خبيث النفس كسلان » (٤) .

(١) رواه مالك في الموطأ [الصلاة/٦] ، والبخاري [٦٠٨] ، ومسلم [٣٨٩] .

(٢) رواه مالك في الموطأ [الصلاة/٥٧] .

(٣) رواه مالك في الموطأ [السهو/١٠٤] ، والبخاري [١٢٣٢] ، ومسلم [٣٨٩] .

(٤) رواه مالك في الموطأ [قصر الصلاة/٩٥] ، والبخاري [١١٤٢] ، ومسلم [٧٧٦] .

وروى مالك عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كرز أن رسول الله ﷺ قال : « ما رأى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيط منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا ما أرى يوم بدر ، قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟ قال : أما إنه قد رأى جبريل نزع الملائكة » (١) .

(١) تقدم في [ص : ١٥٥] ، رواه مالك في الموطأ [الحج/٢٤٥] وهو مرسل .

بعض المعجزات النبوية في موطأ مالك

روى مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أنه قال :
رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس وضوءاً فلم يجدوه ،
فأتى رسول الله ﷺ بوضوء في إناء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ،
ثم أمر الناس يتوضئون منه . قال أنس : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ
الناس حتى توضئوا من عند آخرهم ^(١) .

التعليق : ومعجزة النبي ﷺ في هذا الحديث واضحة .

روى مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كان
رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت
أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوماً ، فأطعمته
وجلست تُفلى رأسه ، فنام رسول الله ﷺ ، ثم استيقظ وهو يضحك . قالت :
فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في
سبيل الله ، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسيرة - أو مثل الملوك على الأسيرة » ،
يشك إسحاق - قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ،
ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ يضحك . قالت : فقلت : يا رسول الله
ما يضحكك ؟ قال : « ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله ، ملوكاً على
الأسيرة أو مثل الملوك على الأسيرة » كما قال في الأول . قالت : فقلت : يا رسول الله
ادع الله أن يجعلني منهم . قال : « أنت من الأولين » ، قالت : فركبت البحر في زمان
معاوية بن أبي سفيان فضرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت ^(٢) .

(١) رواه مالك في الموطأ [الطهارة : ٣٢] ، والبخاري [٢٠٠] ، ومسلم [٢٢٧٩] .

(٢) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [٢٢٥/١٠] ورواه مالك في الموطأ [الجهاد/٣٩] ،

والبخاري [٢٧٨٨] ، ومسلم [١٩١٢] .

وروى مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم ، لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ فقالت : نعم . فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخذت خماراً لها ، ثم لفت الخبز ببعضه ، ثم دسّته تحت يدي ورددتني ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في المسجد ومعه الناس ، فقمّت عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : « أرسلك أبو طلحة ؟ » فقلت : نعم . فقال : « بطعام ؟ » قال : قلت : نعم . فقال رسول الله ﷺ لمن معه : « قوموا » فانطلقوا ، وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله والناس ، وليس عندنا من الطعام ما نطعمه ، فقالت : الله ورسوله أعلم . قال : فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه حتى دخلا ، فقال رسول الله ﷺ : « هلمى يا أم سليم ، ما عندك ؟ » فأتت بذلك الخبز ، فأمر به ففت وعصرت عليه أم سليم عكة لها ، فأدمته ، ثم قال رسول الله ما شاء الله أن يقول ثم قال : « ائذن لعشرة بالدخول » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ثم قال : « ائذن لعشرة » ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » ، فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً (١) .

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [٢٨٩/١] ورواه مالك في الموطأ [صفة النبي/١٩] ،
والبخارى [٥٣٨١] ، ومسلم [٢٠٤٠] .

رواية مالك لأحاديث الفتن

الإمام مالك رحمه الله عقيدته في الفتن - أعاذنا الله منها - عقيدة صافية ، وهي من الأمور العقديّة ، ومن الأخبار الغيبية ، التي تدخل في الإيمان بالغيب ، فقد روى مالك رحمه الله من هذا ما يدل على عقيدته السلفية ، وأنه تابع لإخوانه الذين يؤلفون مجامع ويترجون كتاب الفتن من بين تلك المجامع ومما رواه رحمه الله :
○ عن عبد الله بن دينار أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق ويقول : « ها ، إن الفتنة ههنا ، إن الفتنة ههنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان »^(١) .
○ وروى أيضًا مالك بلاغًا ، أن عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق فقال له كعب الأحبار : لا تخرج إليها يا أمير المؤمنين ، فإن بها تسعة أعشار السحر ، وبها فسقة الجن ، وبها الداء الغضال^(٢) .

○ وروى أيضًا عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن »^(٣) .
○ وروى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل ، والفدّادين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم »^(٤) .

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [١١/١٧] ورواه مالك في الموطأ [الاستئذان/٢٩] ،
والبخاري [٧٠٩٣] ، ومسلم [٢٩٠٥] .

(٢) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [٩٧٦/٢] ورواه مالك في الموطأ [الاستئذان/٣٠] .

(٣) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [٩٧٠/٢] ورواه مالك في الموطأ [الاستئذان/١٦] ،
والبخاري [٣٣٠٠] .

(٤) ذكره ابن عبد البر في التمهيد [٩٧٠/٢] ورواه مالك في الموطأ [الاستئذان/١٥] ،
والبخاري [٣٣٠١] ، ومسلم [٥٢] .

عقيدة الإمام مالك فى الدجال

الدّجال من أشراط الساعة ، وتواتر النقل بخروجه ، وأنكره جماعة من الذين زعموا أنهم عقلايون وعقولهم منكوسة لا خير فيها ، إذا ردت ما تواتر به النقل عن سيد الأولين والآخرين ، وقد ذكر أبو جعفر الطحاوى وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ، أن هذا الأمر من عقيدتهم ، فقال ما نصه : ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض ^(١) .

روى مالك عن أبى الزبير المكى عن طاوس اليمانى عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْحَيَا وَالْمَمَاتِ » ^(٢) .

(١) كتاب العقيدة الطحاوية [ص : ٥٦٤] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [القرآن/٣٣] ، ومسلم [٥٩٠] .

عقيدة الإمام مالك فى عذاب القبر

لا شك أن الإمام مالكا رضى الله عنه كان على طريقة أئمة السلف ، وعقيدته عقيدتهم ، جملة وتفصيلاً ، وعذاب القبر من جملة عقيدتهم ، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه - لمن كان لذلك أهلاً - وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ولا نتكلم فى كيفيته ، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به فى هذه الدار ، والشرع لا يأتى بما تحيله العقول ، ولكنه يأتى بما تحار فيه العقول كما ذكر شارح الطحاوية قال أبو جعفر الطحاوى رحمه الله فى عقيدته السلفية : وبعباب القبر لمن كان له أهلاً ، وسؤال منكر ونكير فى قبره عن ربه ودينه ونبيه ، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم ، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (١) .

حتى جاءت المعتزلة الذين أحدثوا القلاقل فى عقيدة الأمة الإسلامية ، وأنكروا عذاب القبر ، واستحالوا وجوده بعقولهم المنكوسة ، فرد عليهم أئمة السلف بما ثبت عن الله وعن رسوله ، وهذا إمامنا مالك يذكر فى موطنه جملة من الأخبار التى ثبتت فى ذلك .

○ روى مالك عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ ، أن يهودية جاءت تسألها فقالت : أعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله ﷺ : أيعذب الناس فى قبورهم ؟ فقال رسول الله ﷺ ، عائذا بالله من ذلك ، ثم ركب رسول الله ﷺ ذات غداة مركباً فخرست الشمس ، فرجع ضحى فمر بين ظهرائى الحُجر ثم قام يصلى وقام الناس

(١) العقيدة الطحاوية [ص : ٤٤٧] .

وراءه ، فقام قيامًا طويلًا ، ثم ركع ركوعًا طويلًا ، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فسجد ، ثم قام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع ثم سجد ثم انصرف ، فقال ما شاء الله أن يقول ، ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر (١) .

○ وروى مالك عن أبي الزبير المكي عن طاوس اليماني عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْحَيَا وَالْمَمَاتِ » (٢) .

○ وروى مالك عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت : أتيت عائشة رضى الله عنها زوج النبي ﷺ حين خسفت الشمس ، فإذا الناس قيام يصلون وإذا هي قائمة تصلّى ، فقلت : ما للناس ؟ فأشارت بيدها نحو السماء وقالت : سبحان الله . فقلت : آية ؟ فأشارت برأسها أن نعم ، قالت : فقممت حتى تجلاني الغشي وجعلت أصب فوق رأسي الماء ، فحمد الله رسول الله ﷺ وأثنى عليه ثم قال : « ما من شيء كنت لم أراه إلا قد رأيته في مقامى هذا ، حتى الجنة والنار ، ولقد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريبًا من فتنة الدجال - لا أدري أيتها قالت أسماء - يُؤتى أحدكم فيقال له : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن - لا أدري أى ذلك

(١) رواه مالك فى الموطأ [صلاة الكسوف/٣] ، والبخارى [١٠٤٩-١٠٥٠] ، ومسلم [٩٠٣] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [القرآن/٣٣] ، ومسلم [٥٩٠] .

قالت أسماء - فيقول : هو محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا
وآمنا واتبعنا ، فيقال له : نعم صالحاً قد علمنا إن كنت لمؤمناً ، وأما المنافق
أو المرتاب - لا أدرى أيتهما قالت أسماء - فيقول : لا أدرى ، سمعت الناس
يقولون شيئاً فقلته » ^(١) .

(١) رواه مالك في الموطأ [الكسوف/٤] ، ومسلم [١١/٩٠٥] .

عقيدة الإمام مالك في الحشر والبعث

الإمام مالك كغيره من بقية السلف وعلماء الشريعة في الإقرار بالبعث والنشور وجزاء الأعمال يوم القيامة ، وقد جاء في موطئه ما يدل على هذه الحقيقة التي وضحها الله تبارك وتعالى في كتابه القرآن أكثر من أى كتاب سماوى ؛ لأن الحشر والنشر مما اتفق عليه الأنبياء والرسل جميعهم .

روى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب »^(١) .

(١) رواه مالك في الموطأ [الجنائز/٤٨] ، والبخارى [٤٩٣٥] ، ومسلم [٢٩٥٥] .

عقيدة الإمام مالك في الحوض

الإمام مالك يثبت الحوض الذي أكرم الله تعالى به نبينا ﷺ وأُمَّته تَرِدُهُ إن شاء الله ، ويُذَاد عنه من يذاد .

وقد تواترت الأحاديث الواردة في ذكره ، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًا ، وقد استقصى طرقها وألفاظها الحافظ ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » فلا مجال لإنكار الحوض .

أخرج الإمام مالك في موطئه عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أني قد رأيت إخواننا » فقالوا : يا رسول الله ، ألسنا بإخوانك ؟ قال : « أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فرطهم على الحوض » فقالوا : يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك ؟ قال : « أرايت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « فإنهم يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ، فلا يُذَادَنَّ رجال عن حوضي ، كما يذاد البعير الضال ... »^(١)

وروى مالك عن خُثَيْب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي »^(٢) .

(١) رواه مالك في الموطأ [الطهارة/٢٨] ، ومسلم [٣٩/٢٤٩] .

(٢) رواه مالك في الموطأ [القبلة/١٠] وروى على الشك والبخارى [١١٩٦] ، ومسلم [١٣٨١] عن أبي هريرة .

عقيدته فى الجنة والنار

هذه العقيدة هى التى استفاض وأفاض بذكرها القرآن ، وأقام بها الحجة على المعاندين من أهل الشرك والإلحاد والمعصية والعناد ، وبين لأهل الطاعة مآلهم ودارهم ، وأنها هى مأواهم ومسكنهم بدون انقطاع ولا تحديد بآمد ، وقد ذكر أبو جعفر الطحاوى فى عقيدته التى ذكر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة ما لفظه : « والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق ، وخلق لهما أهلاً ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه ، وكلّ يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له ، والخير والشر مقدران على العباد » .

قال شارحه : أما قوله : إن الجنة والنار مخلوقتان ، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فأنكرت ذلك وقالت : بل ينشئهم الله يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغى أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه فى أفعالهم فهم مشبهة فى الأفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ؛ لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة ، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب تعالى ، وحرّفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدّعوا من خالف شريعتهم . انتهى من شرح الطحاوية ^(١) .

وقد شارك الإمام مالك رحمه الله فى سياق النصوص لدفع هذه الشبهة الباطلة ، فعقد كتاباً فى موطنه لهذه المهمة وهو الكتاب السابع والخمسون من موطنه ، قال :

(١) شرح العقيدة الطحاوية [ص : ٤٢٠] .

ما جاء فى صفة جهنم فى الموطأ

- روى مالك بسنده عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » فقالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية ، قال : « إنها فضّلت عليها بتسعة وستين جزءاً »^(١) .
- وروى عن عمه أبى سهيل بن مالك عن أبيه عن أبى هريرة أنه قال : أترونها حمراء كناركم هذه ؟ لهى أسود من القار ، والقار الزفت^(٢) .
- وروى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « إن شدة الحر من فيح جهنم ، فإذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة » ، وقال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب ، أكل بعضى بعضاً ، فأذن لها بتفسيئ^(٣) فى كل عام : نفّس فى الشتاء ونفس فى الصيف »^(٤) .
- وروى مالك عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن وعن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم »^(٥) .
- التعليق : وهل فى النصوص أصرح من هذا ، وهل سيد الأولين والآخرين يكذب على الناس أو يحدثهم بما لم يوجد ، فله العجب ما أعمى بصر وبصيرة هؤلاء المعتزلة والقدرية عن هذه النصوص المتواترة التى تجعل المسلم يعيش على اليقين وكأنه يشاهد النار والجنة ليقينه بأخبار النبى ﷺ ، فرضى الله عن الإمام مالك إذ بين عقيدتنا بذكر هذه النصوص النيرة الواضحة .

(١) رواه مالك فى الموطأ [جهنم/١] ، والبخارى [٣٢٦٥] ، ومسلم [٢٨٤٤] .

(٢) رواه مالك فى الموطأ [جهنم/٢] .

(٣) رواه مالك فى الموطأ [وقوت الصلاة/٢٧] وهو مرسل ، ويقويه الأحاديث المتصلة .

(٤) رواه مالك فى الموطأ [وقوت الصلاة/٢٨] .

○ وذكر : « أن النار اشتكت إلى ربها ، فأذن لها في كل عام بنفسين : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف »^(١) .

○ وروى أيضاً عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم »^(٢) .

○ وروى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس أنه قال : خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فقام قياماً طويلاً نحواً من سورة البقرة قال : ثم ركع ركوعاً طويلاً ، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول ثم سجد ، ثم قام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول ، ثم سجد ثم انصرف ، وقد تجلت الشمس فقال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » قالوا : يا رسول الله ، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ، ثم رأيناك تكعكت ، فقال : « إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أرَ كالיום منظرًا قط أظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء » ، قالوا : لم يا رسول الله ؟ قال : « يكفرن » ، قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : « يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً ، قالت : ما رأيت منك خيراً قط »^(٣) .

○ وروى مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال له : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة »^(٤) .

(١) سبق تخريجه [ص : ١٧٥] .

(٢) رواه مالك في الموطأ [الكسوف/٢] ، والبخاري [١٠٥٢] ، ومسلم [٩٠٧] .

(٣) رواه مالك في الموطأ [الجنائز/٤٧] ، البخاري [١٣٧٩] ، ومسلم [٢٨٦٦] .

جريدة المراجع

الإبانة	ابن بطة
أصول السنة	اللالكائى
أصول الاعتقاد	للبهقى
الاعتصام	الشاطبى
الانتقاء فى فضائل الأئمة	ابن عبد البر
الأنساب	السمعانى
إيقاظ همم أولى الأبصار	لابن الهمام
البداية والنهاية	ابن كثير
تاريخ ابن معين	ابن معين
تاريخ خليفة	خليفة بن خياط
تاريخ الطبرى	ابن جرير الطبرى
تحذير الساجد	الألبانى
تذكرة الحفاظ	الذهبى
ترتيب المدارك	القاضى عياض
تفسير ابن أبى حاتم	لابن أبى حاتم
تفسير القرطبى	للإمام القرطبى
تفسير ابن كثير	للحافظ ابن كثير
تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلانى
التمهيد	ابن عبد البر
تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلانى
تهذيب الكمال	المزى
تيسير العزيز الحميد	سليمان بن عبد الله بن محمد
	ابن عبد الوهاب
جامع بيان العلم وفضله	ابن عبد البر
حلية الأولياء	أبو نعيم الأصبهاني
الدياج المذهب	ابن فرحون
ذم الكلام	الهروى
سلسلة الأحاديث الصحيحة	الألبانى
سلسلة الأحاديث الضعيفة	الألبانى

السنة	عبد الله بن أحمد
السنة	ابن أبي عاصم
سنن ابن ماجه	الإمام ابن ماجه
سنن أبي داود	الإمام أبو داود
سنن الترمذى	الإمام الترمذى
سنن النسائى	الإمام النسائى
سير أعلام النبلاء	الإمام الذهبي
شذرات الذهب	ابن العماد الحنبلى
شرف أصحاب الحديث	الخطيب البغدادى
الصبارم المسلول على شاتم الرسول	ابن تيمية
صحيح ابن حبان	لابن حبان
صحيح البخارى	الإمام البخارى
صحيح مسلم	الإمام مسلم
الصمت	لابن أبي الدنيا
العقيدة الطحاوية	للإمام الطحاوى
غاية الأمانى فى الرد على النبهانى	العلامة الألوسى
فتح البارى شرح صحيح البخارى	ابن حجر العسقلانى
الفهرست	ابن النديم
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	الهيثمى
مجموع فتاوى شيخ الإسلام	لابن تيمية
المدخل	لابن الحاج
المدونة	مالك بن أنس
مسند الإمام أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل
مشاهير علماء الأمصار	ابن حبان
مشكل الآثار	للإمام أبى جعفر الطحاوى
مصنف عبد الرزاق	لعبد الرزاق الصنعانى
المعجم الكبير	الطبرانى
مفتاح دار السعادة	لابن القيم
موطأ الإمام مالك	مالك بن أنس
وفيات الأعيان	ابن خلكان

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة
« سورة البقرة »		
٢٢	﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٧٧
٨٥	﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾	١٠٧
١٠٢	﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ﴾	٦٢، ٦١
١١٣، ١١١	﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ... يَخْتَفُونَ ﴾	١٠٥
١٤٣	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ ﴾	١٤١
٢٢١	﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ﴾	١٤٤
٢٥٥	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾	٨٠
« آل عمران »		
١٠٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾	٣
١٦٥	﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ ... أَنْفُسِكُمْ ﴾	١٤
« النساء »		
١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾	٣
٨٣	﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ ﴾	١٥٤
١١٥	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ﴾	١٥٥
« المائدة »		
٣	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	٣٥
١٨	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ... الْمَصِيرُ ﴾	١٠٥
٦٤	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾	١٣٨

الآية	السورة	الصفحة
« الأنعام »		
٧٣	﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾	١٠٤
٨٢	﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُنْتَدُونَ ﴾	٢٨
٩٠	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفَتُهُ ﴾	١٤٥
« الأعراف »		
٤٠	﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾	٤٣
٥٤	﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾	٦٦
٥٥	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾	٨٢
١٣٠، ١٣١	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ... وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٦٧
١٤٣	﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ﴾	٩٨
١٧٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾	١٤٦، ١١١، ٢٠
« التوبة »		
١٠٠	﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ... الْعَظِيمِ ﴾	٤٢
« يونس »		
٥٩	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ ... فَتَنُوتَ ﴾	٢٤
٦٤	﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾	١٥٨
« هود »		
٧	﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	١١٤
« النحل »		
٢٥	﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ... يَزِيدُونَ ﴾	٤٥
٣٨	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ... يَمُوتُ ﴾	٧٩

« طه »

٥ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ٩٧

« الأنبياء »

٢٥ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ... فَأَعْبُدُون﴾ ٢٥

« المؤمنون »

٥٣ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ١٠٧

« النور »

٤٧ - ٥٠ ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ... أَلْظَلَمُون﴾ ١٠٧

٦٣ ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢٦

« العنكبوت »

٦٣ ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ ٧١

« الاحزاب »

٤ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ ١٠٣

٧٠ ، ٧١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ... فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ٣

« سبأ »

٢٣، ٢٢ ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ... إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُمْ﴾ ٨٠

« فاطر »

٨ ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ عَمَلِهِمْ فَراءَهُ حَسَنًا﴾ ٢٨

« الزمر »

٦٥ ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٥٠

٦٧ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... يَسْمِينَهُ﴾ ١٠٨

الآية	السورة	الصفحة
-------	--------	--------

« غافر »

٦٠ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي ... ذَاخِرِينَ ﴾ ٨٢

« الشورى »

١١ ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ١٣٨

٣٠ ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ ... وَيَتَعَفَّوْا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ... ١٤

« الجاثية »

٢٤ ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ... الدَّهْرُ ﴾ ٧٣

« محمد »

٣ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... اتَّبَعُوا لِمَنْ رِيبَهُمْ ﴾ ١٠٣

٣١ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ ﴾ ١٣

« الفتح »

١٨ ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ ... وَأَنبَبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴾ ٤٢

٢٩ ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ... وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ٨١، ٤٢

« الذاريات »

١١، ١٠ ﴿ قُلِ الْغَرَّصُونَ ... الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ ﴾ ٢٣

٥٦ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ٢٠

« الحديد »

٢٢ ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ... عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ٦٨

« المجادلة »

٢٢ ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... وَرَسُولِهِ ﴾ ١٤٢

الآية	السورة	الصفحة
-------	--------	--------

« الحشر »

١٠-٨ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ ٨٧

« المنافقون »

٤ ﴿وَإِذَا رَأَتْهُمْ تَعَبُّكَ أَجْسَامُهُمْ ... مُسْتَنْدَةً﴾ ٣٨

« القيامة »

٢٢ ، ٢٣ ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ نَاصِرُهُ . إِلَ رَبِّهَا نَاطِرُهُ﴾ ٩٨

« المطففين »

١٥ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ ٩٨

« الغاشية »

١ - ٤ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ... تَصَّيَّ نَارًا حَامِيَةً﴾ ٢٨

« الإخلاص »

١ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١٢٢ ، ١٣٩

فهرس الأحاديث والآثار

رقم الحديث	الراوي	طرف الحديث
« حرف الألف »		
١٧٥	أبو هريرة	أُترونها حمراء كناركم هذه
٦٢	اجتنبوا السبع الموبقات
٧١	أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده
٧٨	كعب	احلف بالله صادقاً أو كاذباً ولا تحلف بغيره
١٧٦، ١٧٥	أبو هريرة	إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة
١٦٠	أبو هريرة	إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإنه
١٦٣	أبو هريرة	إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط
١٦٦	أنس بن مالك	أرسلك أبو طلحة
١٣٧	أبو سعيد الخدري	إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه
١٣١	يحيى بن سعيد	أسرى برسول الله ﷺ فرأى عفريناً
٦٥	عائشة	أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهثون
٧٢	زيد بن خالد	أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى
١٢٥	عائشة	أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك
١٠٤	اكتب ، فوالذى نفسى بيده ما خرج
٦٦	على بن أبى طالب	ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ
١١٥	أبو واقد الليثي	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة
١٣٧	ابن عمر	الذى يجبر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه
١٦٣	أبو هريرة	الذى يرفع رأسه ويخفضه قبل الإمام فإنما
١١٨	ابن عمر	اللهم ارحم المحلقين
١٧٠، ١٦٨	ابن عباس	اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم
٨٠	اللهم شفّع فينا نبيك وخيار خلقك
١٢٠، ٥٦	عطاء بن يسار	اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد

رقم الحديث	الراوي	طرف الحديث
١٢٦	ابن عباس	اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض أما إنك لو قلت حين أمسيت :
١٢٩	أبو هريرة	أعوذ بكلمات الله التامات
٩٤	أمرت أن أقاتل الناس حتى
١٣٦	ابن أبي العاص	امسحه يمينك سبع مرات ، وقل
١٤٧	مالك بن أنس	إن أحداً لن يموت حتى يستكمل رزقه
١٦٣	أبو هريرة	إن أحدكم إذا قام يصلي جاءه الشيطان
١٧٦	ابن عمر	إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
١٤٦، ١١١	عمر بن الخطاب	إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره
١٢٠	ابن أبي حكيم	إن الله تبارك وتعالى لا يمل حتى تملوا
١١١	ابن عمر	إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين
٧٧	ابن عمر	إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم
	محمد بن عبد الرحمن	أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها
٦٢	ابن سعد	
١٧٥	عطاء بن يسار	إن شدة الحر من فيح جهنم
١٢١	عائشة	إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله
١٧٦	ابن عباس	إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله
		أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك
١٩	عبد الله بن دينار	ابن مروان يبايعه
		أن عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق
١٦٧	مالك بن أنس	فقال له كعب الأحبار
١٥٩	ابن شهاب	أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوماً
٥٥	بكر بن سودة	إن كانت القبور لتسوى بالأرض
١٧٦	أن النار اشتكت إلى ربها فأذن لها
١٦٢	زيد بن أسلم	إن هذا واد به شيطان

رقم الحديث	الراوي	طرف الحديث
١٨	أميمة بنت رقيقة	لاني لا أصافح النساء
٦٠	عمر بن الخطاب	إنما أنت حجر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما
١١٦	إنها أم القرآن
١٦٩	عائشة	أيعذب الناس في قبورهم ؟
١٣٣	عمر بن الحكم	أين الله ؟
١٤٧	معاوية بن أبي سفيان	أيها الناس إنه لا مانع لما أعطى الله

حرف التاء والحاء والخاء والذال

١٤٦	أبو هريرة	تحتاج آدم وموسى فحج آدم موسى
٤١	تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما
١٤٧	مالك بن أنس	الحمد لله الذي خلق كل شيء كما ينبغي
٢٠	عياض بن حمار	خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين
٤٢	عمران بن حصين	خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم
٨٢	النعمان بن بشير	الدعاء هو العبادة
١٤٠	ابن عمر	دعه فإن الحياء من الإيمان
٧٠	يحيى بن سعيد	دعوها ذميمة

حرف الراء والسين والشين والطاء

١٦٧	أبو هريرة	رأس الكفر نحو المشرق
١٦٥	أنس بن مالك	رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس
١٥٧	أنس بن مالك	الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من
١٥٨	أبو قتادة بن ربعي	الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان
٢٢	مالك بن أنس	سن رسول الله ﷺ وولاة الأمور بعده سنناً
٢٨	مالك بن أنس	السنة سفينة نوح من ركبها نجا
١٧٣	أبو هريرة	السلام عليكم دار قوم مؤمنين
٦٧	ابن عمر	الشؤم في الدار والمرأة والفرس
٦٩	أنس بن مالك	الطيرة على من تطير

طرف الحديث	الراوي	رقم الحديث
------------	--------	------------

حرف الفاء والقاف

فارجع فلن أستعين بمشرك	عائشة	٤٦
فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه	أبو هريرة	١١٠
فيما استطعتم	ابن عمر	١٧
فيما استطعتن وأطقتن	أميمة بنت رقيقة	١٨
قال الله تعالى : إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه	أبو هريرة	١٢٧
قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق	أبو هريرة	٦٥
قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي	جابر بن عبد الله	٢١
قدم على عمر بن الخطاب رجل	محمد بن عبد الله	٥٢
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	أبو هريرة	١١٦
قل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه	خالد بن الوليد	١٢٩
قولوا : التحيات لله ، والزكيات لله	عمر بن الخطاب	١١٩

حرف الكاف واللام

كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة في المرأة	عائشة	٦٨
كان مالك إذا جاء بعض أهل الأهواء قال :	الشافعي	٢٣
كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب	أبو هريرة	١٧٢
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس	ابن عمر	١٤٧
كل قضاء المؤمن خير له	١٣
كل مصور في النار يجعل له بكل صورة	ابن عباس	٦٥
كل مولود يولد على الفطرة	أبو هريرة	٢٠
كلما جاء رجل أجدل من رجل أردنا	مالك بن أنس	٩٦
الكيف منه غير معقول	مالك بن أنس	٩٧
لا تبقيين في رقبة بعير قلادة من وتر	عباد بن تميم	٦٤
لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل	أبو سعيد الخدري	٦٥
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق	١٥٥، ١٣٤
لا تسأل المرأة طلاق أختها	أبو هريرة	١٤٧
لا حاجة لنا فيهم	ابن شهاب	٤٦

رقم الحديث	الراوي	طرف الحديث
١٢٨	لا ومقلب القلوب
١٣٩	أبو هريرة	لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا خلق الله
١٣٨	بن عازب	لا يضحى بأربع من الضحايا البراء
٨٢	أبو هريرة	لا يقل أحدكم إذا دعا : اللهم اغفر لي إن شئت
٧٣	أبو هريرة	لا يقل أحدكم : يا خيبة الدهر
٣٦	مالك بن أنس	لا يؤخذ العلم عن أربعة
١٣٧	ابن عمر	لا ينظر الله يوم القيامة إلى من يجر ثوبه خيلاء لا ينظر الله تبارك وتعالى يوم القيامة
١٣٧	أبو هريرة	إلى من يجر إزاره بطراً
١٢٣	رفاعة بن رافع	لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يتندرونها
٨١	أبو هريرة	لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد
٥٨	مالك بن أنس	لما أتى سعد بن أبي وقاص قال : وددت أن
١١٠	أبو هريرة	لما قضى الله الخلق كتب عنده
٤٦	لن أستعين بمشرك
١٣٠	كعب الأحبار	أولا كلمات أقولهن لجعلتنى يهود حماراً
١٣	ليس على مستكره طلاق
٩	أبو هريرة	ليضربن الناس أكباد الإبل

حرف الميم والنون والهاء

١١٤	الفضيل بن عياض	ما أخلصه وأصوبه
١٧٣	أبو هريرة	ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
١٦٤، ١٦١	طلحة بن عبد الله	ما رثي الشيطان يوماً هو فيه أصغر
١٧٠	عائشة	ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا
١٦٠	أبو هريرة	الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه
٢٥	من أحدث في مسجدنا حدثاً فعليه
١٦٠	أبو هريرة	من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة
١٣٢	سعيد بن يسار	من تصدق بصدقة من كسب طيب

طرف الحديث	الراوي	رقم الحديث
من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك	عمر بن الخطاب	٧٧
من شتم النبي ﷺ قتل ، ومن سب أصحابه أدب	مالك بن أنس	٨٤
من صلى بأرض فلاة ، صلى عن يمينه	سعيد بن المسيب	١٥٩
من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج	أبو هريرة	١١٦
من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح	ابن عباس	٦٥
من غير دينه فاضربوا عنقه	٥١
نار بنى آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً	أبو هريرة	١٧٥
ناس من أمتي عرضوا على غزاة	أنس بن مالك	١٦٥
نعم إذا رأيت الماء	أم سلمة	١١٥
ها ، إن الفتنة ههنا	عبد الله بن دينار	١٦٧
هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا	أبو هريرة	١٥٧
هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل	عروة بن الزبير	١٥٨

حرف الواو والياء

والذي نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن	أبو سعيد الخدري	١٢٢
ومن حلف فقال في حلفه : واللات والعزى فليقل	أبو هريرة	٧٨
ومن يرد الله به خيراً يصب منه	١٣
يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك	١٢٨
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	أبو هريرة	١٦٠
يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم	١١٣
يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم	أبو سعيد الخدري	١٥١
يستجاب لأحدكم ما لم يعجل	أبو هريرة	٨٢
يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر	أبو هريرة	١٣٥، ١١٠
يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم	أبو هريرة	١٦٣
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة	أبو هريرة	١٢٤
يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر	٧٣
يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً	أبو سعيد الخدري	١٦٧

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة المؤلف
٥	مصادر الإمام مالك العقديّة
٧	المصدر الأول : القرآن الكريم
٩	المصدر الثاني : السنة المشرفة
١٥	المصدر الثالث : مشايخه وأساتذته
١٧	ما جاء في الموطأ في البيعة على العقيدة
٢٠	حديث الفطرة في موطأ مالك
٢١	موقف مالك من البدع والمبتدعة
٤٦	موقف الإمام مالك من الزنادقة والمشرّكين
٥٥	موقف الإمام مالك من بدعة القبورية
٦١	موقف الإمام مالك من السحر والسحرة
٦٣	ما جاء في الموطأ من الأخبار عن : الرقي والتمايم
٦٥	رواية الإمام مالك لأحاديث التصاوير
٦٧	موقف الإمام مالك من الشؤم والتطير
٧١	موقف الإمام مالك ممن يستسقى بالنجوم
٧٣	النهى عن سب الدهر
٧٧	ما رواه مالك في موطئه من : النهى عن الحلف بغير الله تعالى
٨٠	الشفاعة في موطأ مالك
٨٢	إخلاص الدعاء لله من كمال التوحيد
٨٤	موقف الإمام مالك من الشيعة
٨٨	موقفه من بدعة الجهمية وفروخهم
١١٥	صفة الحياء

١١٦	صفة الرحمة
١٢٠	صفة الغضب
١٢١	صفة الغيرة
١٢٢	ما جاء في قراءة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾
١٢٣	صفة السمع
١٢٤	صفة النزول
١٢٥	صفة الرضا والسخط
١٢٦	صفتي النور والحق
١٢٧	صفة المحبة والكراهية
١٢٨	ومن صفاته سبحانه : أنه مقلب القلوب
١٢٩	ما جاء في التعوذ بكلمات الله
١٣١	صفة الوجه
١٣٢	صفة الكف
١٣٣	صفة العلو
١٣٥	صفة الضحك
١٣٦	صفة العزة
١٣٧	صفة النظر
١٣٨	موقف مالك من المشبهة
١٤٠	موقفه من بدعة الإرجاء
١٤٢	موقف الإمام مالك من بدعة القدر
١٤٦	ما رواه مالك في الموطأ في الرد على القدرية
١٤٩	موقف مالك من الخوارج
١٥٢	موقف مالك من المقلدة
١٥٧	أحاديث الرؤيا في موطأ مالك

الصفحة	الموضوع
١٥٩	عقيدة الإمام مالك فى الملائكة
١٦٢	عقيدته فى الشياطين والجن
١٦٥	بعض المعجزات النبوية فى موطأ مالك
١٦٧	رواية مالك لأحاديث الفتن
١٦٨	عقيدة الإمام مالك فى الدجال
١٦٩	عقيدة الإمام مالك فى عذاب القبر
١٧٢	عقيدة الإمام مالك فى الحشر والبعث
١٧٣	عقيدة الإمام مالك فى الحوض
١٧٤	عقيدته فى الجنة والنار
١٧٥	ما جاء فى صفة جهنم فى الموطأ
١٧٧	جريدة المراجع
١٧٩	فهرست الآيات القرآنية
١٨٤	فهرست الأحاديث والآثار
١٩٠	فهرس الموضوعات

سلسلة العقائد السلفية

هذه السلسلة .. لماذا ؟

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ . [النساء : ٥٩] .

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : « إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَهُمْ وَزَرَاءَ نَبِيِّهِ ، يَقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ ، وَمَا رَأَوْهُ سَيِّئًا ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ » .
وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : « مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا ؛ فَلَيْسَتْ بَعْدَ مَنْ قَدْ مَاتَ ، أَوْلَىكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ أَبْرَهَا قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا ، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا ، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَنَقَلَ دِينَهُ ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ ؛ فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَاللَّهُ رَبُّ الْكَعْبَةِ » .

وامثالاً لأمر الله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ ، وعلى نهج سلفنا الصالح ، وبعون من الله وحده تُصدر هذه السلسلة المباركة من عقائد السلف الصالح . وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

عبد الله حجاج